

هَذَا هُوَ الْإِسْلَام  
(٨)

# قراءة النص الديني

بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي

د. محمد عمارة

مكتبة الشروق الدولية



هذا هو الإسلام

(٨)

قراءة النص الديني

بين التاويل الغربي والتاويل الإسلامي

الطبعة الأولى  
١٤٢٧ هـ - أكتوبر ٢٠٠٦ م



٩ شارع السعادة - أبراج عثمان - روكسي - القاهرة

تليفون وفاكس: ٤٥٠١٢٢٨ - ٤٥٠١٢٢٩ - ٢٥٦٥٩٢٩

Email: < shoroukintl @ hotmail.com >

< shoroukintl @ yahoo.com >

البرنامج الوطني لدار الكتب المصرية

الفهرسة أثناء النشر

( بطاقة فهرسة )

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية (إدارة الشؤون الفنية)

عمارة، محمد .

هذا هو الإسلام : قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل  
الإسلامي / محمد عمارة - ط ١ . - القاهرة : مكتبة الشروق الدولية ،  
٢٠٠٦ م

١٠٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم .

تدمك X-1830-09-977

١ - التأويل .

٣ - العلم الباطن .

أ . العنوان

٢٢٧

رقم الايداع ١٩٢٠٩ / ٢٠٠٩ م

الترقيم الدولي I.S.B.N. - 977- 09- 1830- x

# الفهرس

الموضوع	الصفحة
تمهيد	٧
الهيرمينوطيقا: علم موت المؤلف!	١٣
هيرمينوطيقا النص الدينى	١٩
التأويل فى مذاهب الإسلاميين	٢٣
فى القرآن الكريم	٢٣
وفى السنة النبوية	٢٨
وفى اللغة	٢٩
وفى الاصطلاح	٢٩
وفى تفسير القرآن	٣٤
القانون الإسلامى لفلسفة التأويل	٤٥
وعند الصوفية	٥٩
التأويل الباطنى	٦٣
هرطقة الهيرمينوطيقا فى الدراسات الإسلامية المعاصرة	٦٩
وبعد	٨١
هذا	٨٣
المصادر والمراجع	٨٥
د. محمد عمارة - سيرة ذاتية فى نقاط	٨٩



بسم الله الرحمن الرحيم

## تقديم

«الهيرمينوطيقا» Hermeneutics - فى صورتها التى تبلورت فيها، ووصلت إليها فى «فلسفة الأنوار» الأوروبية الوضعية - فى القرن الثامن عشر الميلادى - والتى هى انبعاث متطور «للتأويل» الذى عرفه الفكر الغربى منذ العصر اليونانى . . هذه «الهيرمينوطيقا»، قد بلغت فى الغلو إلى الحد الذى حكمت فيه بموت الإله - تعالى الله عن ذلك - فى تأويل النصوص المقدسة لدى اليهود والنصارى . . وبموت الكاتب والمؤلف فى النصوص الأدبية والفنية . . وبالقطيعة مع «المعنى» الذى قصده الكاتب، وإحلال «الدلالة»، أى عالم القارئ وكيئوته وفهمه الذاتى محل مقاصد الكاتب والمتكلم . . وحكمت أيضا «التاريخية» . . والنسبية، على عالم المؤلف، ونفسيته، وملابسات خطابه، ومقاصده، والمعانى التى أودعها النص الذى أبدعه . . وأقامت - هذه «الهيرمينوطيقا» - القطيعة المعرفية الكبرى مع منظومة القيم التى جاء بها النص . . فكانت - فى هذا النسق الفكرى الغربى - : علم فهم النص، الذى أحل «الدلالة» و«المغزى» محل «المعنى»، فأقام القطيعة مع الموروث، والموروث الدينى على وجه الخصوص . .

ولأن هذه «الهيرمينوطيقا» قد مثلت الطور المغالى لعلم التأويل الذى عرفته الحضارة الغربية فى قراءة النصوص منذ العصر «اليونانى» فلا بد لفهمها، وفهم درجة غلوها من رؤيتها فى سياق تاريخ التأويل عبر تطور الفكر الغربى فى هذا الميدان . .



لقد نشأ التأويل للنصوص، كمحاولة من القارئ لل فكك من قيود هذه النصوص، ففى مواجهة النصوص ذات السلطة والنفوذ الفكرى والاجتماعى نشأ التأويل لل فكك والتحرر من هذه السلطة وهذا النفوذ.

ولقد كانت دواعى التأويل - الذى يتجاوز ظاهر اللفظ إلى باطنه، ويتعدى حقيقة معناه إلى المجاز - متعددة، منها:

١ - التحرر من قيد النص المقدس، ابتغاء التوفيق بينه وبين الرأى الذى يذهب إليه صاحب التأويل.

٢ - التحرر من قيد النص المقدس، ابتغاء التوفيق بين ما يفهم من صريح اللفظ وبين ما يقتضيه العقل.

٣ - الرغبة فى تعميق صريح النص المقدس الساذج، ابتغاء مزيد من العمق فى الآراء التى يحتويها<sup>(١)</sup>.

ولم تكن سلطة النص أو سذاجته، التى يسعى التأويل إلى التخلص والتحرر من قيودها وقفاً على النص الدينى وحده، بل لقد دخل التأويل كل النصوص ذات السلطان الثقافى والاجتماعى... فامتد إلى النصوص القانونية، وإلى الآثار الأدبية حين تصبح ذات سلطة... وعندما أصبح شعر «هوميروس» - [القرن التاسع قبل الميلاد] - ذا سلطة، بدأ تأويله لدى أنصار «المدرسة الكلية»<sup>(٢)</sup>. فكان تأويل «زيوس» - كبير الآلهة - «باللوجوس» (Logos) (العقل الأول). . . وتأويل تقييد الإلهة «هيرا» بالأغلال، بأنه اتحاد العناصر. . . وتأويل جرح «أفروديت» - (إلهة الجمال) - و«أرس» بأنه هزيمة جيش البرابرة إلخ... إلخ<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان هذا التأويل لرموز شعر «هوميروس» قد مثل الانتقال من ظواهر معانى الألفاظ إلى معان أكثر مادية وتجسداً، فإن بواكير التأويل القديم للنصوص الدينية المقدسة قد أخذت الاتجاه المعاكس، أى الانتقال - فى تأويل الكلمات والرموز - من ظاهر معناها إلى باطنها، أى تجريد هذه الكلمات والرموز من المعانى الحقيقية

(١) د. عبد الرحمن بدوى: [مذاهب الإسلاميين] ج ٢ ص ١٠ طبعة بيروت ١٩٧٣ م.  
(٢) المدرسة الكلية: إحدى مدارس الفلسفة اليونانية، والى لها - تلميذ سقراط - «اتسناس» [٤٣٥ - ٣٧٠ ق. م.] كانت تحقير العرف والتقاليد والأخلاق الشائعة، وترهق اللذات، وتدعو لالترام قانون الطبيعة. وسميت بهذا الاسم نسبة إلى المكان الذى كان يجتمع فيه أتباعها «الكلب السريع»، ولأنهم كانوا يتبحون الرذائل التى يرفضونها انظر: [القاموس الفلسفى] د. مراد وهبة وآخران. طبعة القاهرة ١٩٧١ م.

(٣) [مذاهب الإسلاميين] ج ٢ ص ١٠، ١١.

لألفاظها، وتحويلها إلى عالم المجاز . . ولقد تم ذلك تحت ضغط هجوم الفلسفة على هذه النصوص الدينية، التي رأتها الفلسفة مليئة باللاعقلانية والخرافات والأساطير . . فكان «تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن» إعلاناً عن أن هذه النصوص الدينية المقدسة رموز وإشارات إلى حقائق خفية وأسرار مكنونة، وأن الطقوس والشعائر بل والأحكام العملية هي الأخرى رموز وأسرار، وأن عامة الناس هم الذين يقنعون بالظواهر والقشور، ولا ينفذون إلى المعانى الخفية المستورة التي هي من شأن أهل العلم الحق، علم الباطن . . وبدأ الحديث عن أن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلاً . . (٤)



وفي إطار اليهودية وعهدها القديم بدأ التأويل الباطنى للنص الدينى المقدس يأخذ طريقه . . فكان تأويل «أبراهيم» (إبراهيم) بأنه «النور» (العقل)، وزوجته «سارة» بأنها «الفضيلة»، و «الفصح» بأنه «تطهير الروح» . . أو خلق العالم . . ثم جاء «فيلون» [٢٠ ق م - ٥٤ م] - اليهودى - «فجعل من هذا التأويل الباطنى مذهبا ومنهجاً فى فهم النص الدينى المقدس، ولقد دفعه إلى ذلك الحملة الفلسفية اليونانية على ما فى الثوراة من أساطير ساذجة أو غير معقولة، مثل برج بابل، والحية التى أغرت حواء فى الجنة، وغضب إله الجنود . . فاضطر «فيلون» إلى تأويل هذه الأساطير واللامعقول تأويلاً باطنياً . . ورأى أن هذا التأويل بالباطن هو الانتقال من جسم النص إلى روحه وحقيقته . . فكان تأويله للجنة بأنها ملكوت الروح، ولشجرة الحياة بأنها خوف الله، ولشجرة المعرفة بأنها الحكمة، ولأنهار الجنة الأربعة بأنها الفضائل الأربع الأصلية، و«لهاييل» بأنه التقوى الخالصة من الثقافة العقلية، و «لقايل» بأنه الأنانى، و «لشيث» بأنه الفضيلة المزودة بالحكم، و «الأخنوخ» بأنه الرجاء . . و «لسارة» بأنها الفضيلة والحكم، و «اليوسف» بأنه نموذج الرجل السياسى . .» (٥)

فتبلور منذ ذلك التاريخ - القرن الأول الميلادى - منهاج التأويل الباطنى الذى ينتقل من ظاهر النص إلى باطنه، ومن حقيقة ألفاظه إلى ما هو أبعد من مجازاتها . . والذى ذهب بعيداً على طريق الغلو بسبب ما حفلت به تلك النصوص الدينية من الأساطير

(٤) المرجع السابق ج ٢ ص ٧ - ١٠ .

(٥) المرجع السابق. ج ٢ ص ١١ - ١٣ .



الخرافية والقصاص اللامعقول . . . ويسبب هجوم الفلسفة اليونانية على هذا اللامعقول .



ولقد تكررت القصة مع النص النصراني . . . فأمام هجمات الأفلاطونية المحدثه على النصوص الدينية النصرانية، تبنى المدافعون عن النصرانية مذهب «فيلون» في التأويل الباطنى . . . فوجدنا «يوسطينوس» [١٠٠ - ١٦٥ م] يؤول عبارة سفر التكوين (٤٩: ١١): «غسل ثيابه في الخمر، ورداءه في العنب» بأن معناها: «أنه سيظهر المؤمن الذى يسكن فيه «اللوجوس» (الكلمة) بدمه الذى يأتى من أمه مثل عصير العنب» . . . وعبارة سفر أشعيا (٦: ٩): «ستكون الحكومة على عاتقه» بأن «المسيح سيشتق على الصليب» .

ولقد برز فى التأويل النصراني «أوريجنس» Origen [١٨٥ - ٢٥٤ م] - الذى تأثر بفيلون اليهودى - والذى بلور لقراءة الكتاب المقدس منهاجا يقول: إن قراءة هذا الكتاب إنما تحكمها مستويات القراء:

١ - فالرجل البسيط يكفيه «جسد» الكتاب المقدس .

٢ - والرجل المتقدم فى الفهم يدرك «روح» هذا الكتاب .

٣ - والرجل الكامل هو الذى يفهمه بالناموس النفسانى الذى يطلع على الغيب .

ولقد كان «أوريجنس» - مثله مثل «فيلون» - واقعا تحت ضغط الفلسفة اليونانية، التى هاجمت ما فى هذه النصوص الدينية من استحالات، مثل الإله الذى هو «بستانى يزرع بستانا أو ينتزه فيه» . . . أو «وجه الله الذى استتر منه قابيل» . . . ومثل ما فى إنجيل متى (٤: ٨ وما يليها) من أخذ الشيطان يسوع إلى جبل عال . . . إلخ إلخ .

فأمام هذه الاستحالات أقر «أوريجنس» بأن كثيرا من القصص الواردة فى هذه الكتب المقدسة لو أخذ بحروفه لكان محالا غير معقول . . . وقال بالتفريق، فى هذه النصوص، بين أقوال يمكن أن تفسر حرفيا، وأخرى يجب أن تؤوّل باطنيا .

ولقد شهد هذا الميدان ألوانا من الغلو فى التأويل الباطنى الذى لا ضابط له، ولا منطق يحكمه . . . وذلك من مثل قول «هيريونيموس» St. Jérôme [٣٤٨ - ٤٢٠ م]: إن «ليا» هى الديانة اليهودية، وإن «راشيل» هى الديانة المسيحية!

ومنذ ذلك التاريخ لجأت كل تيارات الفكر النصراني إلى التأويل الباطنى ، على تفاوت بينها فى التوسع والتوسط والاقتصاد . . وفى الاعتدال أو الغلو فى ذلك التأويل . . وحتى التيارات غير المتحمسة للتأويل قد اضطرت إليه أمام النصوص التى استعصت على أخذها بظاهرها وحقيقتها من مثل «نشيد الإنشاد» ، الذى اضطرت إلى تأويله تأويلا رمزيا كل من القديس «برنار» [٩٢٣-١٠٠٩م] و «مارتن لوتر» [١٤٨٣-١٥٤٦م] الذى أوله تأويلا باطنيا<sup>(٦)</sup> .

وهذه الدلالات الثلاث للنص الدينى الواحد ، التى قال بها «أوريجنس» ، قد أصبحت أربع دلالات - فى القرون الوسطى الأوروبية - ثم وصلت إلى قممتها عند «توما الإكوينى» [١٢٢٥ - ١٢٧٤م] فأصبح هناك :

١ - الدلالة الحرفية (الظاهر) Literal or historical .

٢ - والدلالة المجازية (الأليجورية) Allegorical . .

٣ - والدلالة الأخلاقية (التروبولوجية) Tropological . .

٤ - والدلالة الباطنية (الأناجوجية) Anagogical . .

وهى دلالات متعددة لمستويات متعددة من القراءة والقراء . . يتوصل القارئ إلى المستويين الأول والثانى منها - الظاهر والمجاز - عن طريق «التلاوة» أما المستويان الثالث والرابع فلا وصول إليهما إلا من خلال «التدبر»<sup>(٧)</sup> .



ونحن نلاحظ أن كل تاريخ هذا التأويل الباطنى ، فى تاريخ الفكر الغربى - سواء ما تعلق منه بالنص الدينى أو البشرى - إنما كان يدور بين درجات ومستويات من الغلو والاعتدال - مع التأكيد على أن القائمين بهذه التأويلات إنما يسعون إلى حقيقة معنى النص ، وحقيقة قصد الخطاب . . فلم يكن هناك أية دعوة للقطيعة بين القارئ - المؤول - وبين مصدر النص وصاحبه . . تلك القطيعة التى مثلت التقل - أو القفزة - النوعية

(٦) المرجع السابق . ج ٢ ص ١٣ - ١٥ .

(٧) سيزا قاسم : [القارئ والنص : العلاقة والدلالة] ص ١٢٠ ، ١٢١ طبعة القاهرة ٢٠٠٢م .

الكبرى، التي انتقلت فيها حداثة عصر التنوير الغربى ذات الفلسفة الوضعية،  
بالتأويل، من السعى إلى حقيقة مقاصد صاحب النص - موجه أو مؤلفه - إلى تحرير  
فهم القارئ للنص من المقاصد والمعانى والقيم والأحكام التى أرادها صاحب النص من  
ورائه . . هنا، وعند هذا المقصّل والقفزة النوعية الكبرى، أصبح التأويل - وحتى  
الباطنى والمغالى - الذى عرفناه . أصبح «علم الهيرمينوطيقا»، كما تبلور فى القرن  
الثامن عشر الميلادى .



## الهيرمينوطيقا:

### علم موت المؤلف!

لقد تعايشت فلسفة الأنوار الغربية - كما صاغها الموسوعيون - وغم وضعيتها ولا دينيتها، مع الأخلاق المسيحية، باعتبارها ضرورة عملية مفيدة لحكم سلوك العامة، لكنها قطعت الصلة بين هذه الأخلاق المسيحية وبين اللاهوت - الله - فأسست بهذه القطيعة لفكرة «موت الإله»، ولتأويل النص الديني تأويلاً يحلر فيهم القارئ له من المقاصد الإلهية، ويقيم قطيعة المباحدة مع المعاني التي أرادها المبدعون للنصوص بوجه عام. . . ومن هنا تبلور الطور الهيرمينوطيقى للتأويل.

ولقد كان الإنجاز المتميز الذي تم على يدى «كوبر نيكوس» [١٤٧٣ - ١٥٤٣ م] فى العلم الطبيعى ذا تأثير طاع على الحياة الفكرية والأدبية والاجتماعية الأوروبية كلها - حتى فى الفلسفة والإنسانيات والدين - جعل الجميع يتجهون إلى محاولات صياغة العلوم الإنسانية والاجتماعية على صورة العلوم الطبيعية ومناهجها، بل ويريدون بتأويل النص الديني إحلال «دين طبيعى» محل «الدين الإلهي» وإحلال كينونة العالم المعين والواقع المادى محل المقاصد الإلهية ومعاني النص الدينى وأحكامه، وتحريز القارئ والقراءة - بالهيرمينوطيقا - من نفسية المؤلف ومقاصده فعالم الشهادة وآياته وحقائقه الكونية قد غدت النموذج الأوحى، وهى الأول والآخر، والظاهر والباطن، الأمر الذى أقام قطيعة معرفية كبرى مع عالم الغيب واللاهوت ومقاصد الرضى فى النص الدينى، ومع المؤلف فى النصوص البشرية الموروثة، بوجه عام.

وكما يقول «بول ريكور»: «... فلقد ولدت الهيرمينوطيقا - أو بالأحرى نعتت - فى القرن الثامن عشر الميلادى بفضل انقلاب كوبرنيكى قدم سؤال: ما الفهم؟ على



سؤال : معنى هذا النص أو ذلك، أو معنى هذه الفقرة أو تلك من النصوص (المقدسة أو الدنيوية) . . . (٨)

وكان هذا البحث والتمجيد للهيرمينوطيقا - فى القرن الثامن عشر الميلادى - إعلانا عن موت المؤلف والمتكلم، وإلغاء لمقاصد المؤلف والمتكلم، وإحلالا «للدلالة»، التى هى الفهم الذاتى للقارئ، محل «المعنى» الذى قصد المبدع إلى إيداعه فى النص، والحكم على النص ومعانيه بالتاريخية والنسبية، أى جعل التطور التاريخى إلغاء لمعانى هذا النص وأحكامه ومقاصد مبدعه، وإحلال «القارئ» محل «المؤلف»، وجعل هذا القارئ هو «منتج النص»، وفتح الأبواب لتعدد الدلالات بتعدد القراء للنص الواحد، الذى غدا - فى هذه الهيرمينوطيقا - متعدد بتعدد القراء . . الأمر الذى جعل الثبات واليقين فى مقاصد المؤلفين والمتكلمين أثرا بعد عين . . ولقد طبقت الهيرمينوطيقا هذا المنهج فى قراءة النصوص على كل ألوان النصوص، الدينية منها والبشرية، ولم تميز فى النص المؤول بين «محكم» لا يقبل التأويل وبين «متشابه» يقبل التأويل، كما لم تضع من الضوابط للتأويل ما ينفذ ثوابت المعانى والقيم والأحكام والعقائد من هذا الاجتياح الهيرمينوطيقى لمعانى النصوص !

وعن هذا «الانقلاب الهيرمينوطيقى» نتحدث المصادر التى تخصصت فى هذا البحث، فنقول : «لقد ساد البحث عن المتكلم، إلى حد كبير، الدرس النصى حتى القرن الثامن عشر، عندما بدأ يتشكل الوعى بالوضع التاريخى لكل من المتكلم والمخاطب، والشقة التى قد تفصل بينهما، ومن ثم تحركت علوم التفسير والتأويل من علوم تبحث عن الدلالة interpretation إلى علم الهيرمينوطيقا الذى يبحث فى آليات الفهم comprehension وهذا التحول جعل القارئ موضع البحث بدلا من المتكلم. إن تحول دراسة النصوص من محاولة تفسير النص المعتمد على التوصل إلى قصد المتكلم، إلى محاولة معرفة آليات الفهم قد أثار كثيرا من المشكلات التى لم تكن مطروحة من قبل، منها الإطار الاجتماعى والثقافى والحضارى الذى ينتج فيه النص مقارنا بالإطار الذى يستقبل فيه، فالبعد الزمانى والمكانى للذات يفصلان بين النص والقارئ قد

(٨) بول ريكور (من النص إلى الفعل - أبحاث التأويل) ص ٢١ ترجمة محمد برادة وحسان بورقية. طبعة القاهرة ٢٠٠٦م.

أصبحت عائقاً أمام فهم النص . . . ولقد بدأت تتسلل إلى دراسة النصوص مفاهيم النسبية التي مؤداها أن كل منتج ثقافى مشروط بظروف إنتاجه التي تختلف من عصر إلى عصر، ومن مكان إلى مكان، ومن لغة إلى لغة، ومن ثقافة إلى ثقافة . . . إلخ وطُرحت أسئلة من نوع: هل يستطيع القارئ فهم «صحيح» النص؟ وما هو الفهم «الصحيح» للنص؟ وهل هناك فهم واحد صحيح؟ . . . وطرح سؤال: من أين تنبع الدلالة؟ من المتكلم؟ أو من القارئ؟ أو من النص؟

كانت الإجابة قاطعة فى الماضى بأنها تنبع من المتكلم، أو بمعنى أصح من قصد المتكلم فى توصيل رسالة معينة، ولكن التغير الجوهرى الذى ساد دراسة النصوص الفنية هو الدور الجوهرى الذى أخذ يلعبه القارئ فى تلقى النص، بحيث يمكن أن يقال: إن القارئ هو الذى «يتج النص». . . ويصبح هناك عدد من النصوص بعدد القراء الذين يتلقون النص . . .»<sup>(٩)</sup>.

ولقد طُبِّق هذا التطور الهيرمينوطيقى على كل النصوص، دينية وبشرية، محكمة ومتشابهة، لتأويلها منطق لغوى وفكرى، وما لا منطق لتأويلها . . . «فالنص - عند هذه الهيرمينوطيقا - هو كل خطاب أثبتته الكتابة . . .»<sup>(١٠)</sup> . . . بينما «النص» فى اصطلاح الأصوليين الإسلاميين هو «المحكم» الذى لا يقبل إلا معنى واحداً، ومن ثم فهو لا يقبل التأويل - إذ هو المقابل «للمتشابه» - وليس مطلق «العبارة» وليس «كل ملفوظ له معنى» . . . إنه - بعبارة علماء الأصول - : «ما لا يتطرق إليه احتمال أصلاً، لا على قرب ولا على بعد، كالحمسة مثلاً، فإنه نص فى معناه لا يحتمل شيئاً آخر . . . إنه : ما ازداد وضوحاً على الظاهر، لمعنى فى المتكلم . . . وما لا يحتمل إلا معنى واحداً . . . أى ما لا يحتمل التأويل . . . أو : ما لا يتطرق إليه احتمال مقبول يعضده دليل . . .»<sup>(١١)</sup>.

هكذا أحلت الهيرمينوطيقا القارئ محل المؤلف والمتكلم، وجعلته هو المنتج للنص، كل نص - بهذا المعنى الفضفاض للنص - وحوّلت النص الواحد إلى نصوص متعددة بتعدد القراء، ولم يعد - فى عرفها - وجود معنى صحيح لنص من النصوص !

(٩) [القارئ والنص : العلامة والدلالة] ص ١٢٤ . ١٢٥

(١٠) [من النص إلى الفعل : أحاث لتأويل] ص ١٠٦

(١١) [التهانوى] كشف اصطلاحات الفنون [طبعة الهند ١٨٩٢ م . والشريف احمد جابى [الترغيم بقات] طبعة القاهرة ١٩٣٨ م .

ولقد ترتب على هذه القطيعة مع مقاصد المؤلف والمتكلم، ومع المعاني التي أودعها النص الذي أبدعه، قطيعة مع الموروث، ومع الموروث الديني على وجه الخصوص، بل إن هذه القطيعة في هذا الميدان تحديدا كانت المقصد الأعظم لهيرمينوطيقا ثقافة الحداثة الوضعية، التي أحلت الإنسان الطبيعي محل الإنسان الرباني، وجعلت هذا الإنسان الطبيعي محور الثقافة بدلا من الله، فأقامت قطيعة معرفية كبرى مع الثقايد الدينية الموروثة. . وكما يقول «بول ريكور»: «فالهيرمينوطيقا تبدأ عندما لا نكون مسرورين بالانتماء إلى تقليد متوارث، فنقطع علاقة الانتماء لمنحها دلالة ما. .» (١٢)

لقد فتحت الهيرمينوطيقا باب الغلو في التأويل على النحو الذي لم يعد هناك في نص من النصوص معنى ثابت، وأصبح بإمكان «القارئ أن يستخرج من النص «دلالة» ليست ما قصد إليها المؤلف. . حتى ولو كانت هذه «الدلالة» من إسقاط القارئ. . فهدف الهيرمينوطيقا الأخير هو فهم المؤلف أحسن مما يفهم المؤلف نفسه. .» (١٣)

فقارئ النص، بعد أن حل محل المؤلف، وحكمت له الهيرمينوطيقا بموت المؤلف، ونسخ مقاصده والمعاني التي أودعها النص الذي أبدعه. . هذا القارئ لم تعد قراءته توجها إلى مقاصد المؤلف، وإنما أصبحت إنتاجا جديدا «لدالات» جديدة، تضع القارئ وكيونة عالمه المعيش في دلالات النص. بدلا من أن تضع معاني النص أمام القارئ الذي يتلقاه. . «فالتأويل - في الهيرمينوطيقا - هو عملكنا في الحال لقصد النص. . وإن قصد النص أو هدفه لا يعني، في المقام الأول، نية المؤلف المفترضة، أو معيش الكاتب الذي يمكن للإنسان أن يتقل إليه، فما يريد النص أن يقوله للذي يخضع لأمره: هو أن نضع أنفسنا في معناه. . لقد غدت «الدلالة» الموضوعية شيئا آخر غير قصدية المؤلف الذاتية. . وطريق الفهم السليم للنص لم يعد بالعودة إلى مقصدية الكاتب المزعومة - [١١] - . . ومنذئذ تُفتح إمكانات تأويل متعددة، من طرف النص الذي تحرر من موقع ميلاده. . فالنص يقول أكثر مما أراد الكاتب قوله، والدلالة قد قطعت مع نفسية كاتبها. . والدلالة التي يتجها القارئ هي المنقذ للدلالة التي قصد

(١٢) [من النص إلى الفعل - أبحاث التأويل] ص ٤٦

(١٣) المرجع السابق ص ١٠٧، ١١٠، ١١١.



إليها المؤلف - [١] - . . . لقد اعتبرت الهيرمينوطيقا أن كتابة النص تعنى استقلاله عن مؤلفه، وعن مقاصده، كما تعنى إمكانية إبطال كل مرجعية - [١] - . . . فالكتابة فى البداية، تجعل النص مستقلا عن قصد الكاتب، وما يدل عليه النص لا يتطابق مع ما أراد قوله . . . ومن ثم يمكن لكل مرجعية أن تبطل . . . (١٤)

ولقد جعلت الهيرمينوطيقا القطيعة مع نظام القيم الذى تحمله النصوص التراثية هدفا من أهدافها . . . «فواحد من أهداف أى هيرمينوطيقا هو المياعدة إزاء المعنى نفسه، أى إزاء نظام القيم، الذى يقوم عليه النص . . . والهيرمينوطيقا تبدأ عندما لا نكون مسرورين بالانتماء إلى تقليد متوارث، فنقطع علاقة الانتماء لمنحها دلالة ما . . . لقد كان النص - [قبل الهيرمينوطيقا] - معنى فقط، أى علاقات داخلية، بنية، والآن - [بالهيرمينوطيقا] - أصبح دلالة، أى إنجازاً فى الخطاب الخاص للذات القارئة . . . فالقراءة تعنى ربط خطاب جديد بخطاب النص» (١٥)

هكذا تم - فى الهيرمينوطيقا - تأليه القارئ، كل قارئ، والحكم بموت المؤلف، وموت المعانى والمقاصد التى قصد إليها المؤلف، ونسخ القيم والأحكام التى حملها التراث، وتحويل النص - الذى كاد أن يموت هو أيضا، عندما جُرد من مضامينه الأصلية - إلى أداة فى يد الفهم الذاتى للقارئ، تتعدد دلالاته بتعدد القراء، دون أن تكون هناك دلالة صحيحة من بين الدلالات التى تتعدد بتعدد القراء والقراءات . . . فالنص الواحد هو نصوص متعددة بتعدد القراء الذين «يتجونه» - فى غيبة المؤلف - دائما وأبدا . . . فالقراءة - فى الهيرمينوطيقا - قد غدت تنوعات خيالية للأنا القارئة . . . وعندما تحول النص إلى لعبة يلعب بها القارئ، غدت القراءة - هى الأخرى - ألعابا ذاتية، على أنقاض المعانى التى قصد إليها المؤلف، ولم تعد تحققا من مقاصد المؤلف ومن معانى النص - كما كان الحال قبل القراءة الهيرمينوطيقية - . . . وبعبارة «بول ريكور» : «فإنه لا مجال لتكرار الطابع الذاتى للفهم . . . وإننى وأنا أقرأ، لا اتحقق، فالقراءة تدخلنى إلى التنوعات الخيالية للأنا، وتحول العالم بحسب اللعب، هو أيضا تحولٌ لعبى للأنا . . . (١٦)

(١٤) المرجع السابق، ص ١٣٠، ١٥٤، ٣٨، ١٤٤، ١٤٥، ٨٤، ١١.

(١٥) المرجع السابق ص ١١٨، ٤٦، ١١٧.

(١٦) المرجع السابق، ص ٢٣٩، ٢٩٢.



وأمام ذاتية الفهم . وتعدد الدلالات بتعدد القراء للنص الواحد ، وموت المؤلف . . وموت المعنى . . وموت المرجعية . . ومن ثم تعدد التأويلات للنص الواحد . . بل وربما للقارئ الواحد في النص الواحد . . تفتح الهيرمينوطيقا الباب واسعا لصراع التأويلات . . «فهناك صراع تأويلات ، والتأويل النهائي يظهر كالتقرار الممكن استئنافه . . ولا مجال لكلمة أخيرة» . وإذا حدث ذلك فإننا نسميه عنفا . (١٧)

وعندما يتم تعميم كل ذلك في كل النصوص ، الدينى منها والبشرى ، المحكم منها والمتشابه ، الذى تقوم الدواعى على تأويله والذى لا دواعى لتأويله ، الذى تسمح المواضع اللغوية بتأويله والذى لا تسمح له بالتأويل . . عندما يحدث ذلك - فى هذه الهيرمينوطيقا الغربية - فإننا نكون أمام «لا أدوية» . عبثية لا يعلم مداها إلا الله ، والقائلون بعدمية وفوضوية وتفكيكية ما بعد الحداثة فى واقعنا الفكرى المعاصر .



(١٧) المرجع السابق ص ١٥٨ .

## هيرمينوطيقا النص الدينى

كانت النهضة الأوروبية الحديثة، المؤسسة على فلسفة الأنوار، وضعية علمانية، تأسست على التراث الفلسفى الإغريقى فى العقلانية المتحررة من النقل الدينى والوحى الإلهى، وعلى القانون الرومانى، المؤسس على فلسفة المنفعة بالمعنى الدنيوى الخالص، والذي لا ترتبط فيه المنفعة بالقيم والأخلاق بمعناها الدينى والإلهى، ولقد تعاملت هذه النهضة - بسبب هذه الفلسفة - مع اللاهوت الدينى - التوراتى والإنجيلى - باعتباره «جملة معترضة» فى السياق الحضارى الغربى، وذلك انطلاقاً من حكمها على الدين - مطلق الدين - بأنه إفراز من إفرازات العقل البشرى، لآدم وناسب طور طفولة هذا العقل الذى تلاه طور الميتافيزيقا، الذى توارى - هو الآخر - عندما لسخه طور الفلسفة الوضعية الواقعية، التى جعلت المصدر الوحيد للمعرفة الخفية هو «الواقع». وجعلت الحق والعلم «ثمرة للتجربة» دون سواها<sup>(١٨)</sup> وكذلك، فلقد طبقت هذه النهضة الأوروبية الحديثة على اللاهوت الدينى - التوراتى والإنجيلى - هيرمينوطيقا التأويل، لتعلمته، ولتحول ما فيه من الغيب والدين واللاهوت إلى مجرد «رموز إشارية» . . أى لتحول الدين عن إلهيته فتجعله «ديناً طبيعياً»، بعد أن جعلت الإنسان «إنساناً طبيعياً»، لارباتيا، والعلوم الإنسانية والاجتماعية صورة من العلوم الطبيعية والمادية. . . ومن هنا كانت الهيرمينوطيقا التوراتية فرعاً من فروع الهيرمينوطيقا الفلسفية، حكمت بموت الإله - فى النص الدينى - كما حكمت الهيرمينوطيقا الفلسفية بموت المؤلف - فى النصوص البشرية. . . وجعلت القارئ، بالغلط والتأويل، هو المنتج للنص الدينى، بصرف النظر عن أية قوانين أو ضوابط تميز الدين كوحى إلهى عن

(١٨) (القاموس الفلسفى) للدكتور مراد وهبة، يوسف كرم، يوسف شلانة - طبعة القاهرة سنة ١٩٧١ م.

النصوص التي يدعها ويغيرها ويطورها الإنسان . . لقد عاملت الهيرمينوطيقا النص الديني المطلق باعتباره نسياً ، لأن وضعيتها تنكر المطلق بإطلاقاً .

صنعت ذلك مع العهد القديم ، عندما قررت « أن الهيرمينوطيقا التوراتية مجرد واحدة من التطبيقات الممكنة للمهيرميوطيقا الفلسفية على صنف من النصوص . . والهيرمينوطيقا التوراتية هي مينوطيقا إقليمية مقارنة مع نظيرتها الفلسفية ، تكونت في الهيرمينوطيقا العامة . ويمكن إذن أن نؤكد تبعية الهيرمينوطيقا التوراتية للفلسفية بالتعامل معها على أنها هيرمينوطيقا تطبيقية . . إنه سحره تطبيق في المجال التوراتي لتحليل صالح في الأصل لكل نص . . » (١٩)

لقد « أنست » الفلسفة الوضعية النص الديني - التوراة - وعاملتها كما تعامل النصوص الأدبية والفنية ، وأعادت إنتاجها ، بالتأويل الرمزي الإشاري ، عندما أحلت القارئ محل « المؤلف » ، ففرغت الدين من الدين ، بتحويله إلى « دين طبيعي » ، إن احتفظت بأخلاقياته - إلى حين - فإنها قد عزلت هذه الأخلاقيات عن اللاهوت ، محولة إياها إلى ما يشبه « المواضعات الإنسانية » المقطوعة الصلة بالنبوة والمعجزة والوحي والله .

بل لقد بلغت هذه الهيرمينوطيقا في نفى قداصة العهد القديم إلى الحد الذي حكمت فيه بأن أسفاره إنما هي إبداع بشري في عصور متطاوئة . بدأت بـ « عزرا » ، زمن السبي البابلي [٧٢٦ - ٥٣٨ ق م] وتما تلاه من عصور الكهنة . . وأنه - كما يقول « سيبوتز » [١٦٣٢ - ١٦٧٧ م] « حتى عصر المكابيين » [١٣٥ - ٧ ق م] لم تكن الأسفار المقدسة قد أقرت ، وأن حكماء التلمود (الغريسين) قد اختاروا هذه الأسفار ، وذلك زمن الهيكل الثاني [٥١٦ ق م - ٧٠ م] ثم رتبوها ورفعوها لحركة الكتابات المقدسة » (٢٠) .

فكأن هذه الهيرمينوطيقا - وهي تؤلّس المقدس - لم تنف عنه قداسته ، وإنما قد أعادته إلى حقيقته ، كإفراز من إفرازات العقل الإنساني ، أضفيت عليه قداصة زائفة بفعل « الخاخامات . . » وأحكامه .



(١٩) (من النص إلى الفعل : أبحاث التأويل) ص ٩١  
(٢٠) (الزمان شازار - محرر) - [تاريخ] العهد القديم من أقدم تعصور حتى العصر الحديث] ص ١٠٠ ترجمة : د . أحمد محمد هريدي - مراجعة وتقديم : محمد حيفة حسن - طبعة القاهرة ٢٠٠٠ م - وكل صفحات هذا الكتاب تؤكد هذا الرأي .

وكما صنعت هذه التطبيقات الهيروميثيقية مع التوراة واليهودية. صنعت مع النصرانية والأنجيل. بل لقد اعتبرت أن المسيحية ليست أكثر من تأويل لليهودية وعهدها القديم. وليست إضافة جديدة على طريق النبوات والرسالات. فأخضعتها هي الأخرى لهذا الغلو التأويلي - الهيروميثيقي - الذي حولها إلى مجرد رموز وإشارات لمحتوى إنساني، مُفَرَّغ من الدين واللاهوت. واعتبرت الاختلافات بين الأنجيل دليلاً على أنها ثمرة للاختلافات في التأويلات بين الذين كتبوا هذه الأنجيل. فلقد أوّل المسيح نفسه التوراة، وأوّل القديس بولس ومؤلف الرسالة الثبوتية إلى العبرانيين الحدث المسيحي على ضوء تكهنات ومؤسسات المسيحية القديمة. وكل الألقاب التي يسميها المفسرون ألقاباً متعلقة بدراسة المسيح، تصدر عن إعادة تأويل للصور التي استقبلتها من الثقافة العبرانية المكتوبة ومن الثقافة اليونانية المُعَبَّرَة: الملك، المخلص، القس الأكبر، العبد المتألم، العقل الأول. وبهذا المعنى تكون المسيحية، ومنذ البداية، تفسيراً. كما كان التبشير - [والإنجيل معناه البشارة] - منذ البداية يقوم على شواهد مؤولة من طرف الجماعة الأصلية. لقد وُجدت في هذه الحالة الهيروميثيقية، الأصلية تماماً، حرية هيروميثيقية معينة يؤكددها - بوضوح - الاختلاف المُتَعَدِّدُ تَجَاوِزه بين الأنجيل الأربعة. (١١٤)

ولقد كان طبيعياً مع هذه الهيروميثيقا، التي «أنست» النص الديني، بعزله عن السماء، وتفريغه من الدين واللاهوت، أن تؤوّل الوحي - الذي هو طريق النص المقدس في رأي الدين - وكما أحلت الهيروميثيقا الفلسفية القارئ وعالمه وكيئونه عالم المتلقى محل المؤلف وعالمه ونفسه ومقاصده ومعانيه، أحلت الهيروميثيقا الدينية - في تأويل النص الديني - ما يوحيه عالم القارئ والمتلقى محل الوحي الإلهي. فالوحي هو ما يوحيه القارئ وعالمه وواقعه، وليس ما يوحيه الله. وبعبارة «بول ريكور»: «استطيع القول إذن إن التوراة موحاة - إذا كان لتعبير الوحي معنى - [١] - في النطاق الذي تكون فيه الكينونة الجديدة نفسها التي يتعلق بها الأمر موحية بالنسبة للعالم والواقع كله، بما في ذلك وجودي وتاريخي. (١١٥)

(٢١) [من النص إلى الفعل. أحدث التأويل] ص ٩٩، ٩٥.

(٢٢) المرجع السابق ص ٩٧.



فالوحي هو ما يوحيه القارئ وتاريخه وكتبونه وعالمه وذاتيته . . وليس ما يوحيه الله . . لأن هذا الإله - برأى هذه الهيرومينوطيقا - قدم مات في النص الديني . كما مات المؤلف في سائر النصوص البشرية .



هكذا بدأ وتطور التأويل - كعلم لفهم النصوص - في التراث الحضاري الغربي ، وخضعت له كل النصوص ذات السلطة والتفوذ . . بدءاً بشعر «هوميروس» ، وانتهاءً بالعهد القديم والعهد الجديد .

وكانت البداية فيه تأويلاً لما يستعصى على المنطق العقلي للفلسفة اليونانية . ثم تدرج على سلم الغلو حتى حكم بموت المؤلف ، ونسخ مقاصده ومعاني النص الذي أبدعه . ثم بلغ قمة الغلو عندما حكمت الهيرومينوطيقا «بأنسنة» النص الديني ، وأحلت «وحي» القارئ وعالمه محل الوحي السماوي ، فالتفتت إلى دعواها الفجة وصيحتها المنكرة: «لقد مات الله»! . . ولا حول ولا قوة إلا بالله .



## التأويل في مذاهب الإسلاميين

### في القرآن الكريم

لقد بدأت مسيرة التأويل في الحضارة الإسلامية بالقرآن الكريم الذي هو كتاب  
الوحي، ومصدر الدين، وموحد الأمة، ومفجر الإبداع الحضاري، ومعيّار القيم  
والأخلاق، وروح الثقافة، وضابط الصحة اللغوية، وقمة الفصاحة البيانية... والذي  
من بين دفتيه ولدت أمة الإسلام.

وفي القرآن الكريم يرد التأويل بمعنى التفسير الذي يدرك الكنه والحقيقة والجوهر  
والمرجعية والمآلات... ولأن القرآن الكريم هو كتاب الوحي الخاتم والخالد... وكتاب  
الحقيقة الدينية المطلقة، فلقد مثل الكثر المفتوح للعطاء الجديد والمتجدد دائما وأبدا،  
وذلك حتى يلبي احتياجات كل المستجدات. والإجابات على كل علامات الاستفهام  
التي يطرحها الواقع المتغير والمتجدد دائما وأبدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها...  
ولهذه الحكمة جاء في آياته «المحكم» الذي تدرك العقول مآلاته وكنهه معارفه وأحكامه  
دوغما حاجة إلى تأويل... وجاء في آياته، كذلك، «المتشابه» الذي يفتح الباب لعقول  
الراسخين في العلم كي يستنبطوا منه بالاستدلال ما لا تدركه عقول غير الراسخين في  
العلم، والذي يفتح الباب، كذلك، لأن يكتشف فيه الخلف ما لم يكتشفه السلف...  
ولأن يبصر فيه أهل العرفان القلبي ما لا يبصره أهل الظاهر ولا أهل العقل المجرد...  
وبذلك كان القرآن، وسيظل دائما وأبدا - مع اكتمال الوحي - وحيا دائما أبدا ومتجددا  
دائما، صادرا من السور والآيات التي ضمتها دفتا هذا الكتاب الحكيم... فالتقرآن، كما  
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية [٦٦١ - ٧٢٨ هـ - ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م] «مسائل  
ودلائل... وهذا هو معنى الحديث النبوي الشريف: «إن هذا القرآن ما أدبه الله،  
فتعلموا من ما أدبه ما استطعتم. إن هذا القرآن خليل الله والنور والشفاء النافع... لا

تنفسي عجائبه . ولا يخلو عن كثرة الرداء - رواد الدارمي - . فهو الكثر المفتوح للعقل والقلب دائماً وأبداً . . . والمادة الإلهية الممدودة بغذاء العقل والروح دائماً وأبداً . . . فيه خبير الآخرين ونياً الأولين . . لا تنفسي عجائبه ، بل تتزايد بمرور الأزمان وتقدم المعارف والعلوم . . على نحو ما جاء في الحديث الآخر ، الذي يرويه علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، عن رسول الله ﷺ : « هو أقول فصل ، وليس بالهزل ، لا تختلقه الألسن . ولا تنفي أعاجيبه ، فيه نبأ ما كان قبلكم ، وفصل ما بينكم ، وخبر ما هو كائن بعدكم » - رواد الإمام أحمد .

ولأن منهاج النظر الإسلامي يميز بين «المطلق» و«النسبي» في الصفات ، ويقصر الإطلاق على الذات الإلهية ، ويضع ملكات الإنسان وصفاته في إطار النسبي ، فلقد حكم للعقل الإنساني بإدراك كنه وحقيقة ومآلات علوم ومعارف وآيات عالم الشهادة . . والنسبية في هذا الميدان هي نسبية التدرج في الإدراك ، وفقاً لاتساع المعارف وتراكم الاجتهادات ومرور الأزمان ؛ إذ لا مستحيل في عالم الشهادة عن أن يكون معلوماً ومدركاً لهذا الإنسان . . ولذلك كان الباب مفتوحاً أمام الراسخين في العلم لتأويل المتشابه من آيات القرآن ، التي تتعلق بآيات ومعارف وأحكام عالم الكون والشهادة ، وبالصفات التي قد يتبادر من ظواهر ألفاظها ما يخالف الكمال الإلهي الذي جاء بالآيات المحكمات . . فكل التشابهات في الصفات ، التي توهم مشابهة واجب الوجود للمحدثات والمخلوقات يجب تأويلها بردها إلى آيات التنزيه المحكمات . . أما عالم الغيب ، وخاصة أنباء التي استأثر الله ، سبحانه وتعالى ، بعلمها ، لحكمة شاءها ، أو تلك التي لا يستطيع العقل الإنساني - بسبب نسبية إدراكه وقدراته - أن يستقل بإدراك كنهها وجوهرها ومآلاتها ، فلقد ضرب القرآن الكريم لهذا العقل على هذه المغيبات الأمثال ، ليكتفي بهذه الأمثال في التصورات الإيمانية لها ، وليقف دون حدود كنه حقائقها ومآلاتها ، تاركاً ذلك لصاحب العلم المطلق والكلّي والمحيط ، سبحانه وتعالى . .

وللهذه الحقيقة ، التي تميز في متشابه القرآن الكريم بين ما يعلم تأويله الراسخون في العلم ، وبين ما لا يعلم تأويله إلا الله ، جاء اختلاف المفسرين في عطف [الراسخون في العلم] على لفظ الجلالة ، أو عدم العطف في الآية السابعة من سورة آل عمران :

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

فالراسخون في العلم وغير الراسخين - من المؤمنين - يشتركون في قولهم [آمنّا كل من عند ربنا]، والراسخون في العلم معطوفون على لفظ الجلالة في العلم بتأويل المتشابه من الآيات إذا كانت مما جاء في أحكام عالم الشهادة ومعارفه، ليستنبطوا منها بالاستدلال الأحكام الجديدة والعلوم الجديدة والسفن والقوانين الجديدة للوقائع المتجددة بتجده الواقع دائما وأبدا، وتأويل المتشابه الذي جاءت مآلاته في الآيات المحكمات، الشاهدة على مشروعية هذا التأويل وإمكانيته.

وهذه الرسالة، رسالة الراسخين في العلم، باكتشاف الحلول الجديدة للمنازعات والمستجدات، وبالتأويل الذي يكشف عن الكنه والمرجعيات والمآلات، هي التي عبرت عنها آيات سورة النساء: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٥٢) وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو رُدُّوه إلى الرُّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُمْ الَّذِينَ يَسْتَطِيعُونَ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٢، ٨٣].

فاستنباط أولى الأمر، الراسخين في العلم، من المتشابه المتعلق بشئون عالم الشهادة - شئون الأمن والخوف الإنساني - هو التأويل الذي عطف فيه الراسخون في العلم على لفظ الجلالة في آية آل عمران... أما الاقتحام بالتأويل لحقائق عالم الغيب التي استأثر بها العلم الإلهي المطلق والكلّي والمحيط، فذلك هو صنيع الذين في قلوبهم زيغ، أولئك الذين يتبعون ويتبعون المتشابه في هذا الميدان ابتغاء الفتنة التي تثير الشبهات، ولا تنتهي إلى يقين في معالم عالم الغيب الذي لا يعلم تأويله ومآلات أخباره إلا الله... وفي هذا الميدان من ميادين التأويل لا يكون هناك عطف للراسخين في العلم على لفظ الجلالة؛ لأن رسوخهم في العلم هو الذي يجعلهم مدركين أن محاولات



التأويل في هذا الميدان هي عبث لا طائل من ورائه، فيزهون علمهم الراسخ عن اقتحام هذا الحرم المستور من علم علام الغيوب.

تلك هي الحقيقة التي نفسير في إطارها آية سورة آل عمران . . والتي في إطارها تفسر الآيات القرآنية التي ورد فيها مصطلح «التأويل».

فالذين نسوا لقاء يومهم - يوم الدين والحساب والجزاء - وهو من حقائق الغيب التي استأثر الله بعلم كنهها ومآلاتها، عندما يأتيهم تأويل هذا اليوم ومآلاته سيدركهم الخسران الذي لا فكاك منه: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَأَلْیَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١)﴾ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴿٥٢﴾ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فعلهم غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ [الأعراف: ٥١ - ٥٣].

والذين كذبوا بحقائق عالم الغيب ومآلاته، التي لم يحيطوا بها علما، فأنكروا ما لم يستقل عقلهم - وهو نسبي الإدراك - باكتناه جوهر حقائقه، هؤلاء هم الذين حاولوا تأويل ما لم يأتيهم ويتأتى لهم تأويله: ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دُون اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧)﴾ أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دُون اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتيهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ [يونس: ٣٧ - ٣٩].

أما المؤمنون الذين أطاعوا الله ورسوله، فإن تأويلهم لما استأثر الغيب به هو رد علمه ومآله إلى الله ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴿ النساء: ٥٩ ﴾.

ففي آية النساء ٨٣ كان التنازع في «الأمر» والتدبير المتعلق بعالم الشهادة، والأمن والخوف في الاجتماع الإنساني، ولذلك كان التأويل فيه والاستنباط للراسخين في العلم، وكانت لهؤلاء الراسخين - أولى الأمر - سلطة التأويل. أما في هذه الآية - ٥٩ - من سورة النساء - فإن التنازع في «شئ» خارج عن علم الراسخين في العلم، يجب رده إلى الله، «سبحانه وتعالى»، والرسول، «عليه الصلاة والسلام».

وهكذا نجد بقية الآيات القرآنية التي فيها مصطلح التأويل

فالعادل في المعاملات تأويله وماله هو خير الجزاء وأحسنه: ﴿ وأوفوا الكيل إذا كنتم وزنوا بالقياس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ [الإسراء: ٣٥].

﴿ قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ﴾ [الكهف: ٧٨] ﴿ ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً ﴾ [الكهف: ٨٢].

وكذلك الحال مع يوسف عليه السلام في تأويله وتفسيره لرؤيا الملك ﴿ وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤيائي إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴾ (٤٣) قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين (٤٤) وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فارسلوه (٤٥) يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلني أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون (٤٦) قال ترعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون (٤٧) ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون (٤٨) ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ﴿ [يوسف: ٤٣ - ٤٩].

وأيضاً تأويل يوسف عليه السلام لرؤيا الفتين اللذين صحباه في سجنه [الآيتان ٣٦، ٣٧ من سورة يوسف] - وتأويله لرؤياه أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين - [الآيات: ٤، ٦، ٢١، ١٠٠، ١٠١ من سورة يوسف] - تأتي جميعها في إطار الممكن والجائز تأويله في حق من اصطفاه الله بالنبوة، أو أفاض عليه ما يفيضه على أهل العرفان.



### وفي السنة النبوية

وبهذا المعنى للتأويل - معنى التفسير - ورد مصطلح «التأويل» في السنة النبوية - في عدد غير قليل من الأحاديث النبوية الشريفة .

فعن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : « رأيت - [أى في الرؤيا] - سوداء نائرة الرأس خرجت من المدينة حتى أقامت بمهيعة - وهى الجحفة - فأول الرسول صلى الله عليه وسلم أن وباء المدينة نُقل إلى الجحفة » - رواه الإمام أحمد .

وفي تأويل - أى تفسير وإدراك حقيقة ومآل التوجه إلى القبلة ، كما ورد في الآية القرآنية : ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة : ١٤٤] - جاء في الأثر ، عن سعيد بن جبير عن ابن عمر . رضي الله عنهم : أن ابن عمر كان يصلى حيثما توجهت به راحلته . وأنه قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يفعل ذلك ، ويتأول عليه [وحيثما كنتم فاولوا وجوهكم شطره] . » - رواه الإمام أحمد .

وفيما روته السيدة عائشة ، رضي الله عنها ، فنقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعة وسجوده : « سبحانك اللهم ! ربنا وبحمدك . اللهم اغفر لي » يتأول القرآن أى يتأول ويفسر قول الله ، سبحانه : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ [النصر : ٣] رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة والإمام أحمد .

كذلك جاء في الأثر التأويل بمعنى تفسير التنزيل . . فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه : « . . . ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله » - رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، والدارمي .



## وفى اللغة

وامتدادا لمعانى مصطلح «التأويل» فى القرآن والسنة، جاءت معانيه فى المعاجم اللغوية .

ففى [لسان العرب] لابن منظور [٦٣٠ - ٧١١ هـ ١٢٣٢ - ١٣١١ م] نجد التأويل هو إدراك المرجعية والمآل، وما لا يفصح عنه ظاهر اللفظ فيحتاج إلى دليل يكشف عما وراء الظاهر «فالأول: هو الرجوع... وأول الكلام وتأوله: دبره وقدره... وفسره... وهو نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاء ما ترك ظاهر اللفظ... والتأويل والتأول: تفسير الكلام الذى تختلف معانيه، ولا يصح إلا ببيان غير لفظه... وعلم التأويل مما ينبغي أن يتظر فيه... والتأويل: عبارة الرؤيا...».

وفى [أساس البلاغة] للزمخشري [٤٦٧ - ٥٣٨ هـ ١٠٧٥ - ١١٤٤ م]: التأويل: هو العاقبة... بمعنى المرجعية والمآل... وتفسير التنزيل... ولقد قال عبد الله بن رواحة، رضى الله عنه:

فاليوم نضربكم على تأويله

نحن ضربناكم على تنزيله

ويذهل الخليل عن خليله...

ضربا يزيل الهام عن مقيله



## وفى الاصطلاح

أما فى معاجم المصطلحات... فالتأويل - عند الراغب الأصفهاني [٥٠٢ هـ ١١٠٨ م] - هو: «الرجوع إلى الأصل... ورد الشيء إلى الغاية المرادة منه، علما كان أو فعلا. ففى العلم نحو: [وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم]، وفى الفعل كقول الشاعر:

\* ولئنوى قبل يوم بين تأويل \*... (٢٣)

والتأويل عند الشريف الجرجاني [٧٤٠ - ٨١٦ هـ ١٠٧٧ - ١١٤٣ م]: «... فى الأصل - الترجيع. وفى الشرع: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا

(٢٣) الراغب الأصفهاني [المفردات فى غريب القرآن] - مادة «أول» - طبعة دار التحرير - القاهرة ١٩٩١ م.



كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الأنعام: ٩٥] إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرا، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلا. (٢٤)

وهو هنا يؤكد على ضرورة توفر الضابط الديني واللغوي للتأويل.. فليس كل تأويل بجائز، وإنما لا بد لصرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، أن يكون هذا المعنى مما يحتمله ظاهر اللفظ، وأن يكون هذا الاحتمال موافقا للكتاب والسنة، أي للنصوص المحكمات.. لأن التأويل في جوهره هو رد التشابهات إلى المحكمات.

والتأويل عند التهانوي [١١٥٨هـ - ١٧٤٥م]: - لغة: - هو الرجوع، وأما عند الأصوليين، فقيل هو مرادف التفسير، وقيل هو الظن بالمراد، والتفسير القطع به، فاللفظ المجمل إذا حقه البيان بدليل ظني، كخبر الواحد، يسمى مؤولا، وإذا حقه البيان بدليل قطعي يسمى مفسرا، وقيل هو أخص من التفسير.

وقال أبو نصر القشيري: التفسير مقصور على الاتباع والسمع، والاستنباط فيما يتعلق بالتأويل. وقال قوم: ما وقع في كتاب الله تعالى مبينا وفي صحيح السنة معينة يسمى تفسيرا؛ لأن معناه قد ظهر ووضح، وليس لأحد أن يتعرض له باجتهاد ولا غيره، بل يحتمله على المعنى الذي ورد ولا يتعداه. والتأويل ما استنبطه العلماء العالمون بمعاني الخطاب، الماهرون في آلات العلوم.

وقال قوم منهم النيسابوري [٢١٣ - ٣١٧هـ - ٨٢٨ - ٩٢٩م] والكواشي [٥٩٠ - ٦٨٠هـ - ١١٩٤ - ١٢٨١م]: - التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وبعدها تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط. (٢٥)

والتأويل عند أبي البقاء الكفوي [١٠٩٤هـ - ١٦٨٣م]: - هو والتفسير: كشف المراد المشكل.. وقيل: التأويل: بيان أحد محتملات اللفظ. والتفسير: بيان مراد المتكلم، ولذلك قيل: التأويل ما يتعلق بالدراية، والتفسير ما يتعلق بالرواية.

(٢٤) الشريف الجرجاني [التعريفات]: - مادة «التأويل»: - طبعة القاهرة ١٩٣٨م  
(٢٥) التهانوي [كشف اصطلاحات الفنون]: - مادتا «التأويل» و«التفسير»: - طبعة الهند ١٨٩٢م

قال أبو منصور الماتريدي [٣٣٣هـ ٩٤٤م]: التفسير: القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عني باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح. وإلا فتفسير بالرأى، وهو المنهى عنه، والتأويل: ترجيح أحد المحتملات بدون قطع والشهادة على الله.

وكلام الصوفية في القرآن ليس بتفسير.

وفي [عقائد النسفي]: النصوص على ظواهرها، والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد. وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان ومحض العرقان.

وتفسير القرآن هو المقول عن الصحابة، وتأويله ما يُستخرج بحسب القواعد العربية.

وتفسير القرآن بالرأى، المستفاد من النظر والاستدلال والأصول جائر بالإجماع، والمراد بالرأى في الحديث<sup>(٢٦)</sup> هو الرأى الذى لا يرهان فيه.

**وتأويل الظواهر أولى من مخالفة الأوضاع اللغوية، لوجهين:**

**الأول:** أن تأويل الظواهر متفق عليه بخلاف مخالفة الأوضاع، ومخالفة ما اتفق على جواز مخالفتها أولى من مخالفة ما لم يتفق على مخالفتها.

**والثاني:** أن مخالفة الظواهر في الشرع أكثر من مخالفة الأوضاع اللغوية عند القائلين بمخالفة الأوضاع، وأن أكثر ظواهر مخالفة، وأكثر الأوضاع مقررة، وذلك يدل على أن المحدود في مخالفة الأوضاع أعظم منه في مخالفة الظواهر، فكانت مخالفة الظواهر أولى. وعلى هذا يحمل حديث: «من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا». وحديث: «من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر». على حالة الاستحلال وإنكار الوجوب<sup>(٢٧)</sup>.

(٢٦) إشارة إلى حديث: «من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ» - رواه أبو داود.

(٢٧) أبو البقاء الكفوى [الكليات] - مادة «التفسير» - تحقيق: د. عدنان درويش، محمد المصري، طبعة دمشق ١٩٨٢م.

وعند عبدالقاهر الجرجاني [٤٧١هـ/١٠٧٨م] يطلق على التأويل: «معنى المعنى» .  
 فظاهر اللفظ هو معناه، أما تأويل هذا الظاهر فهو «معنى المعنى»، فيقول: «فها هنا  
 عبارة مختصرة، وهي أن تقول: «المعنى» و«معنى المعنى»، تعنى بالمعنى المفهوم من  
 ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة، و«بمعنى المعنى»، أن تعقل من اللفظ  
 معنى، ثم يفضى بك ذلك المعنى إلى معنى آخر . . فلأنك فى جميع ذلك لا تفيد  
 غرضك الذى تعنى من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذى يوجه ظاهره،  
 ثم يعقل السامع من ذلك المعنى، على سبيل الاستدلال، معنى ثانيا هو  
 غرضك . .»<sup>(٢٨)</sup>

أما المعجم الفلسفى [فيلد انجم بتعريف «التأويل الإشارى» - الذى هو فى حقيقته  
 التأويل الباطنى، وتأويل الهرمينوطيقا الغربية - فقال: «إنه تأويل الكتب المقدسة تأويلا  
 رمزيا يشير إلى معان خفية»<sup>(٢٩)</sup>.

وفى [الموسوعة الفقهية] تعريفات للتأويل، ومقارنات بينه وبين التفسير . .  
 «فالتأويل - لغة -: تفسير ما يزول إليه الشئ»، ومصدره . . وفى اصطلاح الأصوليين:  
 صرف اللفظ عن المعنى الظاهر إلى معنى مرجوح، لا اعتضاده بدليل يصير به أغلب على  
 الظن من المعنى الظاهر .

والتفسير - لغة -: البيان وكشف المراد من اللفظ المشكل - وفى الشرع -: توضيح  
 معنى الآية، وشأنها، وقصتها، والسبب الذى نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالة  
 ظاهرة .

وقريب من ذلك، أن التأويل: بيان أحد محتملات اللفظ، والتفسير: بيان مراد  
 المتكلم .

وقال الراغب: التفسير أعم من التأويل . وأكثر استعماله فى الألفاظ ومفرداتها،  
 وأكثر استعمال التأويل فى المعانى والجميل . وكثيرا ما يستعمل فى الكتب الإلهية،  
 والتفسير يستعمل فيها وفى غيرها .

(٢٨) عبدالقاهر الجرجاني [دلائل الإعجاز] ص ٢٦٣، ٢٦٢ . محدود محمد شاكر - طبعة القاهرة ٢٠١١م .

(٢٩) مجمع اللغة العربية [المعجم الفلسفى] طبعة القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

وقال غيره: التفسير: بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهها واحدا. والتأويل: توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة.

وقال أبو طالب الثعلبي [٤٢٧هـ ١٠٣٥م]: التفسير: بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازا، كتفسير (الصراط) بالطريق. و (الصَّيْب) بالقطر. والتأويل: تفسير باطن اللفظ، مأخوذ من الأوَّل وهو الرجوع لعاقبة الأمر. فالتأويل: إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير: إخبار عن دليل المراد؛ لأن اللفظ يكشف عن المراد، والكاشف دليل.

وحكم التأويل:- بالنسبة لنصوص العقائد وأصول الديانات، وصفات الله - اختلف العلماء فيه على ثلاثة مذاهب:

أولها: أنه لا مدخل للتأويل فيها، بل تجرى على ظاهرها. وهذا قول المشبهة.

الثاني: أن لها تأويلا، ولكننا تمسك عنه، مع تنزيه اعتقادنا عن التشبيه والتعطيل.

والمذهب الثالث: أنها مؤولة. . ونقل هذا المذهب عن علي بن أبي طالب (٢٣ق هـ - ٤٠هـ ٦٠٠ - ٦٦١م) وابن مسعود (٣٢هـ ٦٥٢م) وابن عباس (٣ق هـ - ٦٨هـ ٦١٩م - ٦٨٧م) وأم سلمة (٢٨ق هـ - ٦٢هـ ٥٦٩ - ٦٨١م).

أما النصوص المتعلقة بالفروع، فلا خلاف في دخول التأويل فيها. والتأويل فيها باب من أبواب الاستباط، ويكون صحيحا إذا استوفى شروطه، الموافقة لوضع اللغة، أو عرف الاستعمال، ومن قيام الدليل على أن المراد بذلك اللفظ هو المعنى الذي حُمِّل عليه، ومن كون المتأول أهلا لذلك، ويكون التأويل قاسدا إذا فقد شرطه<sup>(٣٠)</sup>.



فكل هؤلاء العلماء الذين صنفوا هذه الموسوعات في المصطلحات والفنون الإسلامية. . قد أكدوا على أن للتأويل الصحيح شروطا. . منها أن يكون المعنى الذي حُمِّل عليه اللفظ المؤوَّل معنى محتملا. . وموافقا لمنطق الوضع اللغوي. . وموافقا للمحكم من آيات القرآن الكريم والمتواتر من السنة النبوية. . وعلى أن التأويل هو غرض - عن طريق الدراية - وراء قصد المتكلم. . وعلى أن صرف اللفظ - بالتأويل إلى

(٣٠) [الموسوعة الفقهية] - وزارة الأوقاف الكويتية، مادة التأويل -، مطبعة الكويت ١٤٠٦هـ ١٩٨٧م.



المعنى المرجوح، بدلا من الظاهر الراجح، مشروط بوجود دليل يجعل هذا المرجوح أغلب على الظن من المعنى الظاهر. . وعلى أن التأويل يجب أن يظل محصورا في نطاق المعانى التى يحتملها اللفظ، فلا يخرج عن دائرة احتمالات اللفظ. . فالتأويل هو توجيه اللفظ إلى أحد المعانى التى يحتملها. . كما اشترطوا الأهلية العلمية العالية فيمن يتصدى لهذا التأويل.



### وفى تفسير القرآن

أما المفسرون للقرآن الكريم. . الذين عرضوا للتأويل عند تفسيرهم للآيات القرآنية التى ورد فيها مصطلحه، فإننا نجد الفاسم الرسى [١٦٩ - ٢٤٦ هـ - ٧٨٥ - ٨٦٠ م] يعرض لهذا المبحث فيقول: «وأصل الكتاب هو المحكم الذى لا اختلاف فيه، الذى لا يخرج تأويله مخالفا لتزييله، وفرعه المتشابه من ذلك فمردود إلى أصله الذى لا اختلاف فيه بين أهل التأويل.

وأصل السنة، التى جاءت على لسان الرسول ﷺ ما وقع عليه الإجماع بين أهل القبلة، والفرع ما اختلفوا فيه عن الرسول ﷺ، فهو مردود إلى أصل الكتاب والعقل والإجماع».

وقد أنكرت الخشوية من أهل القبلة رد المتشابه إلى المحكم. وزعموا أن الكتاب لا يحكم بعضه على بعض، وأن كل آية منه ثابتة واجب حكمها بوجوب تزييلها وتأويلها، ولذلك ما وقعوا فى التشبيه<sup>(٣١)</sup>.

فالمحكم والأصل من الكتاب والسنة هو ما لا اختلاف فيه، والمتشابه منهما ما فيه اختلاف، وهو مردود إلى الأصول المحكمات.

وفى تفسير قاضى القضاة، وإمام المعتزلة عبد الجبار بن أحمد الأسد أبادى [٤١٥ هـ - ١٠٢٥ م] لآية سورة آل عمران [منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات]

(٣١) الفاسم الرسى [رسائل العبد والتوحيه] ج ١ ص ١٢٥، ١٢٦ دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة

طبعة القاهرة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

يتحدث عن أن المحكم هو ما تكون دلالاته في ظاهر لفظه، والمتشابه هو ما يشبهه بظاهرة، ومرجعه ومردده إلى المحكم. . . كما يتحدث عن المقاصد الفكرية والمعرفية من وراء تضمن القرآن للمتشابهات - فيقول: إن القرآن الكريم «فيه ما يدل بظاهرة، فيكون من المحكمات، وفيه ما يشبه بظاهرة، ويجب الرجوع في معناه إلى المحكمات. . . ولو كان الجميع محكما لكان أقرب إلى الاتكال على ظاهره، وطريقة التقليد فيه. والعلوم أن أحدها إذا أود بعث غيره على كثرة الفكر الذي يشح الطبع، وينبع الذكاء والفهم عمى عليه المراد، ليفكر في الاستخراج، وأجمل به القول ليتأمل، فيستنبط منه الصحيح. . . لقد أنزل الله تعالى بعض الكتاب متشابهاً؛ لأنه علم أن الصلاح أن يزداد نظرهم وتأملهم، ويكدوا في معرفة الحق خواطرهم، لأن من حق المحكم أن يدل العارف باللغة بظاهره، ويستغنى عن فكر مجدّد، فإذا كان متشابهاً فلا بد من فكر مجدّد، وعنده لا بد من استحضار الأدلة، ليحمل المراد به على موافقتها، وكل ذلك زائد في الحكمة. . .»

كما يؤكد القاضي عبد الجبار على أن المحكم ليس فقط هو الأصل والمرجع لفهم المتشابه، وإنما هو أيضاً الدليل على أن هذا من المتشابه. . . فالمتشابه المحتاج إلى تأويل، هو الذي ينبه المحكم أو الاستدلال العقلي على مشابهه. . . فيقول: «وليس المتشابه ما لا دليل عليه، ولا تصح معرفة تأويله، بل لا بد وإن كان متشابهاً في اللفظ أن يكون المراد به واضحاً بالأدلة عليه من المحكمات، أو أدلة العقول».

وفي اختلاف المفسرين حول عطف [والراسخون في العلم] على لفظ الجلالة، أو عدم العطف - أي الاستئناف - يناهز القاضي عبد الجبار إلى مذهب العطف، ويقول: «واعلم أن الأولى في معنى قوله تعالى: [وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم] أن يكون عطفًا على ما تقدم، ودالا على أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله، بإعلام الله تعالى إياهم، ونصبه الأدلة على ذلك. . . ولو كانوا لا يعرفون تأويله، وحالهم وهم راسخون في العلم كحال غيرهم، في أنهم يعترفون بأنه من عند الله، ويؤمنون به، فلا تكون لهم ميزة على غيرهم، والكلام يدل على أن لهم ميزة».

أما نبي الغيب، الذي استأثر الله، سبحانه وتعالى، بعلمه، فإن القاضي عبد الجبار يرى أن إدراك تأويله ومآلاته هو لله وحده، ولا مدخل فيه لتأويل الراسخين في

العلم . . فيقول في تفسير قوله سبحانه : [مَنْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ، يَوْمَ يَأْتَى تَأْوِيلَهُ] :  
«أراد بالتأويل المتأول ، وهو عز وجل المنفرد بالعلم بالتأويل ، وأوقاته ، وأحواله» (٣٢) .

وعلى هذا النهاج يسير الرمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ ١٠٧٥ - ١١٤٤ م) .  
فالمحكمات من الآيات هي التي «أحكمت عباراتها بأن حُفظت من الاحتمال  
والاشتباه» والمشابهات هي «المتشبهات المحتملات» و [أم الكتاب] هي أصل الكتاب ،  
تُحمل المشابهات عليها وتُرد إليها . ومثال ذلك «لَا تَذَرْنِي الْآبَاءُ» [الأنعام : ١٠٣]  
«إِنِّي وَبِهَا نَاطِقٌ» [القيامة : ٢٣] «لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ» [الأعراف : ٢٨] «أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا»  
[الإسراء : ١٦] . فهذه الآيات المشابهات تُرد إلى آيات التنزيه المحكمات

ثم يتحدث الرمخشري عن الرسالة المعرفية لوجود التشابه في القرآن ، والدور  
الفكري للتأويل . فيقول : «إِن قُلْتُ : فَبَلَّأَ كَانَ الْقُرْآنُ كُلَّهُ مُحْكَمًا؟

قُلْتُ : لَوْ كَانَ كُلُّهُ مُحْكَمًا لَتَعَلَّقَ النَّاسُ بِهِ لسهولة مآخِذِهِ ، وَلَأَعْرَضُوا عَمَّا  
يَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى الْفَحْصِ وَالتَّأَمُّلِ مِنَ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ ، وَلَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَعَطَلُوا  
الطَّرِيقَ الَّذِي لَا يَتَوَصَّلُ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ إِلَّا بِهِ ، وَلَمَّا فِي الْمَشَابِهِ مِنَ الْإِبْتِلَاءِ  
وَالْتَمْيِيزِ بَيْنَ الثَّابِتِ عَلَى الْحَقِّ وَالْمُتَزَلِّزِ فِيهِ ، وَلَمَّا فِي تَفَادُّحِ الْعُلَمَاءِ وَاتِّعَاجِهِمُ الْقِرَاحَ فِي  
اسْتِخْرَاجِ مَعَانِيهِ وَرَدِّهِ إِلَى الْمُحْكَمِ مِنَ الْفَوَائِدِ الْجَلِيلَةِ وَالْعُلُومِ الْجَمَّةِ وَنَبِيلِ الدَّرَجَاتِ عِنْدَ  
اللَّهِ ، وَلَأنَّ الْمُؤْمِنَ الْمُعْتَقِدَ أَنَّ لَا مُنَاقِضَةَ فِي كَلَامِ اللَّهِ وَلَا اخْتِلَافَ فِيهِ إِذَا رَأَى فِيهِ مَا  
يَتَنَاقَضُ فِي ظَاهِرِهِ ، وَأَهْمَهُ ظَلَبَ مَا يُوَفِّقُ بَيْنَهُ وَيَجْرِيهِ عَلَى سَبِيلِ وَاحِدَةٍ ، فَتَفَكَّرَ وَرَاجَعَ  
نَفْسَهُ وَغَيْرَهُ ، فَفُتِّحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَتَبَيَّنَ مِطَابَقَةُ الْمُشَابِهِ الْمُحْكَمِ أَزْدَادَ طُمَأْنِينَةٍ إِلَى مُعْتَقَدِهِ ،  
وَقُوَّةٍ فِي إِيمَانِهِ .» (٣٣)

فكأنما وجود التشابه ، والتأويل الذي يرده إلى المحكمات ، ويرجع الفروع إلى  
الأصول هو ديوان العقلانية المؤمنة ، التي تزدهر دائما وأبدا بتدبر القرآن الكريم .

(٣٢) القاضي عبد الجبار بن أحمد [المغنى في أبواب التوحيد والعدل] ج ١ ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٨٣ ، ٣٧٨ .

٣٧٩ تحقيق : أمين الخولي طبعة القاهرة ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م .

(٣٣) الرمخشري [الكشاف عن حقائق التنزيل وغيره] الأقاويل في وجوه التنزيل [ج ١ ص ٥١٢ ، ٥١٣ طبعة طهران] .

فالتأويل الإسلامي هو السبيل إلى طمأنينة الإيمان الديني ، وليس سبيل تفريغ الدين من الإيمان !.

أما القرطبي ، محمد بن أحمد [٦٧١ هـ - ١٢٧٣ م] . . فالمحكم عنده «هو ما لا التباس فيه ، ولا يحتمل إلا وجهاً واحداً ، والمتشابه : ما يحتمل وجوهاً ، ثم إذا رُدَّت الوجوه إلى وجه واحد وأبطل الباقي صار المتشابه محكماً ، فالمحكم أبداً أصل تُرد إليه الفروع ، والمتشابه هو الفرع . . . » وهو : «بيان المعنى ، كما أن التفسير هو بيان اللفظ . . . »

فكانما التأويل الإسلامي للمتشابه يجعل القرآن كله محكماً ، لأنه تأويل يرد المتشابه إلى المحكم ، ويرجع بالفروع إلى الأصول . ثم يورد القرطبي رأى المفسر النحاس أحمد ابن محمد [٣٣٨ هـ - ٩٥٠ م] في الفارق بين المحكم والمتشابه ، والذي يقول فيه «أحسن ما قيل في المحكمات والمتشابهات أن المحكمات ما كان قائماً بنفسه لا يحتاج أن يرجع فيه إلى غيره ، نحو : ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : ٤] ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه : ٨٢] ، والمتشابهات نحو : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر : ٥٣] يرجع فيه إلى قوله جل وعلا : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه : ٨٢] وإلى قوله عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء : ٤٨ ، ١١٦] . . هكذا تُرد المتشابهات إلى المحكمات .

ثم أورد القرطبي اختلاف العلماء في عطف [الراسخون في العلم] على لفظ الجلالة ، أو الوقت على لفظ الجلالة ، ثم الاستئناف ، على النحو الذي يرجح إرادة الاثنين . . فهناك من المتشابه غيب لا يعلمه إلا الله ، فلا يعلمه أحد من الراسخين في العلم . . وهناك من المتشابه ما يعلمه الراسخون في العلم ، فيكونون - في علمه - معطوفين على لفظ الجلالة في آية آل عمران . . يورد القرطبي روايات هذا الخلاف فيقول : «واختلف العلماء في [الراسخون في العلم] هل هو ابتداء كلام مقطوع بما قبله ؟ أو هو معطوف على ما قبله فتكون الواو تلجمع ؟ فالذي عليه الأكثر مقطوع بما قبله ، وأن الكلام ثم عند قوله [إلا الله] وهذا قول ابن عمر [١٠ ق هـ - ٧٣ هـ - ٦١٣ - ٦٩٢ م] وابن عباس ، وعائشة [٩ ق هـ - ٥٨ هـ - ٦١٣ - ٦٧٨ م] وعروة بن الزبير [٢٢ - ٩٣ هـ - ٦٤٣ - ٧١٢ م] وعمر بن عبد العزيز [٦١ - ١٠١ هـ - ٦٨١ - ٧٢٠ م] وغيرهم ، وهو مذهب الكسائي [١٨٩ هـ - ٨٠٥ م] والآنخفش [١٧٧ هـ - ٧٩٣ م] والفراء [١٤٤ - ٢٠٧ هـ - ٧٦١ - ٨٢٢ م] وأبي عبيد [١٥٧ - ٢٢٤ هـ - ٧٧٤ - ٨٣٨ م] وغيرهم .



وروى مجاهد [٢١ - ١٠٤ هـ ٦٤٢ - ٧٢٢ م] أنه سَمِعَ - [عطف] - الراسخون على ما قبله، وزعم أنهم يعلمونه، وروى هذا الرأي عن ابن عباس، وقاله الربيع [١٧٤ - ٢٧٠ هـ ٧٩٠ - ٨٨٤ م] ومحمد بن جعفر بن الزبير والقاسم بن محمد [٣٧ - ١٠٧ هـ ٦٥٧ - ٧٢٥ م] وغيرهم.

وقد رد بعض العلماء هذا القول إلى القول الأول فقال: وتقدير تمام الكلام «عند الله» أن معناه: وما يعلم تأويله إلا الله، يعنى تأويل التشابهات، والراسخون في العلم يعلمون بعضه قائلين آمنا به كل من عند ربنا بما نُصب من الدلائل في المحكم وممكن من رده إليه.

ورجح ابن فورك [٤٠٦ هـ ١٠١٥ م] أن الراسخين يعلمون التأويل... وقال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر [٥٧٨ - ٦٥٦ هـ ١١٨٢ - ١٢٥٨ م]: وهو الصحيح، فإن تسميتهم راسخين يقتضى أنهم يعلمون أكثر من المحكم الذى يستوى فى علمه جميع من يفهم كلام العرب. وفى أى شيء رسوخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلم الجميع! لكن التشابه يتنوع، فمنه ما لا يُعلم البتة، كأمر الروح والساعة مما استأثر الله بغيره، وهذا لا يتعاطى علمه أحد... فمن قال من العلماء الخذاق بأن الراسخين لا يعلمون علم التشابه فلنما أراد هذا النوع، وأما ما يمكن حمله على وجوه فى اللغة ومناخ فى كلام العرب فيتأول ويُعلم تأويله المستقيم، ويُزال ما فيه مما عسى أن يتعلق من تأويل غير مستقيم، كقوله فى عيسى: [وروح منه] إلى غير ذلك، فلا يُسمى أحد راسخاً إلا بأن يعلم من هذا النوع كثيراً بحسب ما قدر له<sup>(٣٤)</sup>.

وفى هذا الذى قاله أبو العباس أحمد بن عمر جمع للآراء التى بدت مختلفة، على النحو الذى يميز فى التشابه بين الغيب الذى لا يعلمه إلا الله... وبين ما يعلمه الراسخون فى العلم وفق قواعد اللغة وثوابت الدين ومحكمات الآيات، وبمناهج العقول.

وعلى هذا الطريق، فى تفسير آية آل عمران، يسير البيضاوى، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازى [٦٨٥ هـ ١٢٨٦ م]... فالآيات المحكمات «أحكمت عباراتها

(٣٤) القرطبي [الجامع لأحكام القرآن] ج١ ص ١٥ - ١٨ - طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة.

بأن حُقِقت من الإجمال والاحتمال. وهن [أم الكتاب]: أصله يُرد إليها غيرها [وأخر متشابهات] محتملات لا يتضح مقصودها لإجمال أو مخالفة ظاهر [إلا بالفحص والنظر، ليظهر فيها فضل العلماء، ويزداد حرصهم على أن يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استبطاء المراد بها فيثابروا بها ويتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات. . .] [وما يعلم تأويله] الذي يجب أن يُحمل عليه [إلا الله والراسخون في العلم] أي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه. ومن وقف على [إلا الله] فسر التشابه بما استأثر الله بعلمه، كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الأعداد، كعدد الزبانية، أو بما دل القاطع على أن ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد. [وما يذكر إلا أولو الأبواب] مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر، وإشارة إلى ما استعدوا به للاهتمام إلى تأويله، وهو تجرد العقل عن غواشي الحس. . . (٣٥).

فالوقف. . . والعطف كلاهما وارد؛ لأن هناك ما لا يعلم تأويله إلا الله. . . وهناك ما يعلم تأويله الراسخون في العلم، الذين امتلكوا جودة الذهن، وحسن النظر، وتجردت عقولهم عن غواشي الخواص.



وفي العصر الحديث، يعرض الإمام محمد عبده [١٢٦٥ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م] لهذه المبحث، في تفسيره الآية آل عمران [هو الذي أنزل عليك الكتاب منه قرآن آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات] فيقول: «إنها نزلت في نصارى مجران، ورد ما تشابه عليهم من أن عيسى بن مريم كنيسة. روح الله وكلمته. . . فجعلوها ناقضة للآيات المحكمة في توحيد الله وتنزيهه.

والتشابه إنما يكون بين شيتين فأكثر. ووصف التشابه في هذه الآية هو للآيات باعتبار معانيها، أي إنك إذا تأملت هذه الآيات تجد معاني متشابهة في فهمها من اللفظ لا يجد الذهن مرجحاً لبعضها على بعض. وقالوا أيضاً إن التشابه ما كان إثبات المعنى فيه للفظ الدال عليه ونفيه عنه متساويين، فقد تشابه فيه النفي والإثبات، أو: ما دل فيه اللفظ على شيء والعقل على خلافه فتشابهت الدلالة ولا يمكن الترجيح، كالاستواء

(٣٥) البياضوي [أنوار التنزيل وأسرار التأويل] ص ٩١. طبعة القاهرة ١٣٤٩ هـ ١٩٦٦ م.

على العرش ، وكون عيسى روح الله وكلمته ، فهذا هو التشابه الذي يقابله المحكم الذي لا ينفي العقل شيئاً من ظاهر معناه .

وأما كون المحكمات من أم الكتاب ، فمعناه أنهم أصله وعماده ، أو معظمه . . إنها هي الأصل الذي دُعي الناس إليه ، ويمكنهم أن يفهموها ويهندوا بها ، وعنهما يتفرع غيرها ، وإليها يرجع ، فإن أشبه علينا شيء رده إليها ، وليس المراد بالرد أن نؤوله ، بل أن نؤمن بأنه من عند الله وأنه لا ينفي الأصل المحكم الذي هو أم الكتاب وأساس الدين الذي أمرنا أن نأخذه على ظاهره الذي لا يحتمل غيره إلا احتمالاً مرجوحاً . . وهذا رأى جمهور المفسرين . وذهب جمهور عظيم منهم إلى أنه لا متشابه في القرآن إلا أخبار الغيب ، كصفة الآخرة وأحوالها من نعيم وعذاب .

ولقد بينا أن المتشابه : ما استأثر الله بعلمه من أحوال الآخرة أو ما خالف ظاهر لفظه المراد منه . وورود المتشابه بالمعنى الأول في القرآن ضروري ؛ لأن من أركان الدين ومقاصد الوحي الإخبار بأحوال الآخرة . . ونقول : إنه لا يعلم تأويل ذلك ، أي حقيقة ما نؤول إليه هذه الألفاظ إلا الله ، والراسخون في العلم وغيرهم في هذا سواء ، وإنما يعرف الراسخون ما تحت حكم الحس والعقل فيقفون عند حدهم ولا يتناولون إلى معرفة حقيقة ما يخبر به الرسل عن عالم الغيب ؛ لأنهم يعلمون أنه لا مجال لحسهم ولا لعقلهم فيه ، وإنما سبيله التسليم ، فيقولون آمنا به كل من عند ربنا ، فعلى هذا يكون الوقف عند لفظ الجلالة لازماً . وإنما خص الراسخين بما ذكر لأنهم هم الذين يفرقون بين المرتبتين : ما يجوز فيه علمهم وما لا يجوز فيه ، ومن المحال أن يخلو الكتاب من هذا النوع فيكون كله محكماً بالمعنى الذي يقابل التشابه . ومن الشواهد على أن التأويل هنا بمعنى ما يؤول إليه الشيء وينطبق عليه ، لا بمعنى ما يفسر به ، قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ سُورَهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف : ٥٣] .

فتبين مما قررنا أنه لا يقال على هذا : لماذا كان القرآن منه محكم ومنه متشابه ؟ لأن التشابه بهذا المعنى ، من مقاصد الدين ، فلا يلتصق له سبب ؛ لأنه جاء على أصله .

وأما التفسير الثاني للمتشابه ، وهو كونه ليس قاصراً على أحوال الآخرة ، بل يتناول غيرها من صفات الله التي لا يجوز في العقل أخذها على ظاهرها ، وصفات الأنبياء

التي من هذا القبيل ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمْنَاهُ الْقَاهَا إِلَىٰ مَوْتِهِ وَزُوَّجْنَاهُ مِنْهُ ﴾ [النساء : ١٧١] فإن هذا مما يمنع الدليل العقلي والدليل السمعي من حمله على ظاهره ، فهذا هو الذي يأتي الخلاف في علم الراسخين بتأويله ، فالذين قالوا بالنفي جعلوا حكمة تخصيص الراسخين بالتسليم والتفويض هي تمييزهم بين الأمرين وإعطاء كل حكمه ، وأما القائلون بالإثبات الذين يردون ما تشابه ظاهره من صفات الله وأنبيائه إلى أم الكتاب ، الذي هو المحكم ، ويأخذون من مجموع المحكم ما يمكنهم من فهم المشابه ، فهؤلاء يقولون إنه ما خص الراسخين بهذا العلم إلا لبيان منع غيرهم من الخوض فيه ، فهذا خاص بالراسخين لا يجوز تقليدهم فيه ، وليس لغيرهم التهجم عليه . وهذا خاص بما لا يتعلق بعالم الغيب . . . . .

فتأويل نبي الغيب ، أي إدراك مآلاته وحقائق كنه أخباره ، لا يعلمه إلا الله . . . وتأويل ظواهر الصفات ، التي تتعارض مع المحكم الذي جاء فيها ، هو من اختصاص الراسخين في العلم ، ومحجوب عن غير الراسخين .



ولقد أفاض العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور [١٢٩٦ - ١٣٩٣ هـ ١٨٧٩ - ١٩٧٣ م] في هذا البحث ، وذكر الحكمة من وجود المشابهة ، وعدد مقاصد التأويل وفوائده . . فقال : «لقد أنزل القرآن للإرشاد والهدى ، فالحكمات هي أصول الاعتقاد والتشريع والآداب والمواعظ ، وكانت أصولاً لذلك : بانضاح دلالتها ، وبحيث تدل على معان لا تحتل غيرها أو تحتمله احتمالاً ضعيفاً غير معتد به ، وذلك كقوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى : ١١] ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء : ٢٣] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾ [البقرة : ١٨٥] ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة : ٢٠٥] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)﴾ [النازعات : ٤٠ ، ٤١] وبتضاح معانيها بحيث تناولها أفهام معظم المخاطبين بها وتأهل لفهمها فهي أصل القرآن المرجوع إليه في حمل معاني غيرها عليها للبيان أو التفريع .

(٣٦) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) ج ٥ ص ٦ - ٩ . دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة . مطبعة القاهرة ١٩٩٣ م .



والمتشابهات مقابل المحكمات، فهي التي دلت على معانٍ تشابهت في أن يكون كل منها هو المراد. ومعنى تشابهها أنها تشابهت في صحة القصد إليها، أي لم يكن بعضها أرجح من بعض، أو يكون معناها صادقا بصور كثيرة متناقضة أو غير مناسبة لأن تكون مراداً، فلا يتيين الغرض منها. فهذا وجه تفسير الآية فيما أرى.

وعن الأصم [٢٧٩هـ ٨٩٢م] أن المحكم: ما انضح دليله، والمتشابه: ما يحتاج إلى التدبر، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الزخرف: ١١] فأولها محكم، وآخرها متشابه.

واعلم أن التأويل منه ما هو واضح بين، فصرف اللفظ المتشابه عن ظاهره إلى ذلك التأويل معادل لحمل اللفظ على أحد معنييه المشهورين لأجل كثرة استعمال اللفظ في المعنى غير الظاهر منه، فهذا القسم من التأويل حقيق بالآب يسمى تأويلاً، وليس أحد محمليه بأقوى من الآخر إلا أن أحدهما أسبق في الوضع من الآخر، والمحملان متساويان في الاستعمال، وليس سبق إطلاق اللفظ على أحد المعنيين بمقتضى ترجيح ذلك، فكم من إطلاق مجازي للفظ هو أسبق إلى الأفهام من إطلاقه الحقيقي، وليس قولهم في علم الأصول بأن الحقيقة أرجح من المجاز بمقبول على عمومه.

وتسمية هذا النوع بالمتشابه ليست مراده في الآية - [آل عمران] - وعده من المتشابه جموده.

ومن التأويل ما ظاهر معنى اللفظ فيه أشهر من معنى تأويله ولكن القرائن والأدلة أوجبت صرف اللفظ عن ظاهر معناه، فهذا حقيق بأن بعد من المتشابه. ثم إن تأويل اللفظ في مثله قد يتيسر بمعنى مستقيم يغلب على الظن أنه المراد إذا جرى حمل اللفظ على ما هو من مستعملاته في الكلام البليغ، مثل الأيدي والأعين في قوله: ﴿بَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] وقوله: ﴿فَأَنكُ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] فمن أخذوا من مثله أن الله أعيناً لا يعرف كنهها، أوله بدأ ليست كأيدينا، فقد زادوا في قوة الاشتباه.

ومنه ما يعتبر تأويله احتمالاً ونحويزاً، بأن يكون الصريف عن الظاهر متعيناً، وأما حملة على ما أولوه به فعلى وجه الاحتمال والمثال، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنْ

الغمام» [البقرة: ٢١٠] فمثل ذلك مقطوع بوجوب تأويله، ولا يدعى أحد أن ما أوله به هو المراد منه ولكنه وجه تابع لإمكان التأويل، وهذا النوع أشد موافق التشابه والتأويل.

وقد استبان لك من هذه التأويلات: أن نظم الآية جاء على أبلغ ما يعبر به في مقام يسمع طائفتين من علماء الإسلام في مختلف العصور.

وليس طلب التأويل في ذاته بمذمة، بدليل قوله: [وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم] وإنما محل الذم أنهم يطلبون تأويله طلباً للفتنة، ويطلبون تأويلاً ليسوا أهلاً له فيؤولونه بما يوافق هواهم، وهذا ديدن الملاحدة وأهل الأهواء: الذين يعتمدون حمل الناس على متابعتهم كثيراً السوادهم.

والراسخون في العلم: الثابتون فيه العارفون بدقائقه، يحسنون مواقع التأويل، ويعلمونه. قال ابن عطية (٤٨١ - ٥٤٢ هـ ١٠٨٨ - ١١٤٨ م): تسميتهم راسخين تقتضي أنهم يعلمون أكثر من المحكم الذي يستوى في علمه جميع من يفهم كلام العرب، وفي أي شيء هو راسخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلمه الجميع، وما الراسخ إلا المعرفة بتصاريف الكلام بقريحة معدة.

وما ذكرناه وذكره ابن عطية لا بعدو أن يكون ترجيحاً لأحد التفسيرين، وليس إبطالاً لمقابله، إذ قد بوصف بالراسخ من يفرق بين ما يستقيم تأويله، وما لا مطمح في تأويله.

ثم يمضى العلامة ابن عاشور، ليجمع بين رأى الذين يجعلون التأويل بمعنى إدراك كامل المأل في التشابه لله وحده. ورأى الذين يجيزون التأويل للراسخين في العلم، لإدراك نسبة من المآلات. فيقول: «ولا يخفى أن أهل القول الأول [الذين يجيزون التأويل] لا يثبتون متشابهها غير ما خفى المراد منه، وأن خفاء المراد متفاوت. وأن أهل القول الثاني [المتكرون للتأويل] يثبتون متشابهها استأثر الله بعلمه، وهو أيضاً متفاوت لأن منه ما يقبل تأويلات قريبة، وهو مما ينبغي ألا يعد من التشابه في اصطلاحهم، لكن صنيعهم في الإمساك عن تأويل آيات كثيرة سهل تأويلها مثل: [فإنك بأعيننا] دل على أنهم يسدون باب التأويل في التشابه. قال الشيخ ابن عطية: «إن تأويل ما يمكن تأويله لا يعلم تأويله - على سبيل الاستيفاء - إلا الله تعالى، فمن قال من العلماء

الحذاق: بأن الراسخين لا يعلمون تأويل المشابه، فإنما أراد هذا النوع، وخافوا أن يظن أحد أن الله وصف الراسخين بعلم التأويل على الكمال.

فعلم كامل مآلات التشابهات هو لصاحب العلم المطلق والكلّي والمحيط، وللراسخين في العلم معرفة نسبية، وفق قدراتهم العلمية وملكاتهم العقلية، بهذه المآلات.

ثم يورد العلامة ابن عاشور الرأي في التأويل الباطني - الذي استباح أهله تأويل معظم القرآن - والرأي في موقف الظاهرية - الذين رفضوا التأويل بإطلاق واقفين عند ظواهر اللفظ - فيقول: «قال ابن العربي [٤٦٨ - ٥٤٣ هـ ١٠٧٦ - ١١٤٨ م] - في [العواصم من القواصم] -: من الكائدين للإسلام: الباطنية والظاهرية».

«قلت - [أي ابن عاشور] -: أما الباطنية فقد جعلوا معظم القرآن متشابهاً، وتأولوه بحسب أهوائهم وأما الظاهريون فقد أكثروا في متشابهه، واعتقدوا سبب التشابه واقعاً، فالأولون - [الباطنية] - دخلوا في قوله: [وايتعنا تأويله] والأخيريون - [الظاهرية] - خرجوا من قوله: [وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم] أو وما يعلم تأويله إلا الله، فخالفوا الخلف والسلف. قال ابن العربي - [في العواصم] - وأصل الظاهريين الخوارج الذين قالوا: «لا حكم إلا لله». . . يعني أنهم أخذوا بظاهر قوله تعالى: [إن الحكم إلا لله] ولم يتأولوه بما هو المراد من الحكم»<sup>(٣٧)</sup>.

هكذا عرض المفسرون لمبحث التأويل، وكاد إجماعهم أن يتعقد على جواز التأويل، لأهله من الراسخين في العلم بالمتقول والمعقول. . . وعلى أن من التشابهات ما لا يعلم حقيقة مآلاتها إلا الله، وإن علم الراسخون في العلم نسبة من هذه المآلات، وأن من التشابهات - المتعلقة بالكون وآياته وتشريع وأحكامه - ما يعلم مآلاتها الراسخون في العلم، بما أودع الله في ألفاظ هذه التشابهات، وبما في محكمات القرآن الكريم من دلالات. . . ولقد شدّ عن هذا التوافق أهل الغلو من الظاهرية والباطنية جميعاً.



(٣٧) محمد الطاهر بن عاشور [التحرير والتنوير] ج ٣ ص ١٥٥، ١٥٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١

## القانون الإسلامى لفلسفة التأويل

وإذا كان المفسرون للقرآن الكريم قد بسطوا الآراء حول الموقف من تأويل المتشابه ، وألوان ذلك التأويل - على النحو الذى وثقناه ليصبح «ملفًا» مرجعيًا لهذا المبحث فى علم التفسير - فإن الذين فعدوا للتأويل الإسلامى القواعد ، وجعلوه قانونًا ومعيارًا من معايير النظر الفكرى كانوا هم الفلاسفة المتكلمون . . وخاصة منهم أولئك الذين تبجروا فى الدراسات الفلسفية التى قارنت بين رؤية الإسلام لهذا المبحث وبين الرؤية الفلسفية الغربية . . ولقد كان فى مقدمة هؤلاء ، حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ - ١٠٥٨ - ١١١١ م) المتكلم والأصولى والفقيه . . وصاحب الموقف النقدي من فلاسفة اليونان ، ومن امتداداتهم فى الواقع الفكرى الإسلامى . . وأبو الوليد بن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ - ١١٢٦ - ١١٩٨ م) الشارح الأكبر لأرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق م) والفقيه والمتكلم صاحب الإبداع الذاتى المميز - فى الكلام والفلسفة - عن شروحه على أعمال حكيم اليونان .

ولعل الغزالي قد كان من أوائل الذين اهتموا بوضع قانون مضبوط ومنفصل لتأويل الإسلامى ، عبر فيه وبه عن موقف جمهور فلاسفة الإسلام ومتكلميهم ، من غير الباطنية والظاهرية . . وهو يحدد معالم هذا القانون عندما يقول :

١ - ليس هناك فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إلى التأويل ، حتى من كان منهم غير معن فى النظر العقلى ، كأحمد بن حنبل رحمه الله فلقد صرح بتأويل ثلاثة أحاديث فقط . أحدها قوله ، ﷺ : «الحجر الأسود يمين الله فى الأرض» والثانى قوله ، ﷺ : «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» والثالث قوله ﷺ : «إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن» . . حيث قام البرهان عنده على استحالة ظاهره .



٢- أن معرفة ما يقبل التأويل وما لا يقبل التأويل ليس بالهين ، بل لا يستقل به إلا الماهر الحاذق في علم اللغة ، العارف بأصول اللغة ، ثم بعادة العرب في الاستعمال في استعاراتها وتحويلاتهم ومنهاجها في ضروب الأمثال .

٣- ولقد اتفقت الفرق الإسلامية على أن جواز التأويل موقوف على قيام البرهان على استحالة الظاهر . . والظاهر الأول هو الوجود الذاتي .

٤- واتفقوا على أن البرهان إذا كان قاطعاً وخص في التأويل وإن كان بعيداً ، فإن لم يكن قاطعاً لم يخصص إلا في تأويل قريب سابق إلى الفهم .

٥- واتفقوا على أن مراتب الوجود المقبولة ، والتي يشملها التصديق والاعتراف بوجود ما أخبر به الرسول ﷺ ، هي خمس مراتب :

(أ) الوجود الذاتي : وهو الوجود الحقيقي الثابت خارج الحس والعقل ، ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة ، فيسمى أخذه إدراكاً ، وهذا كوجود السموات والأرض والحيوان والنبات ، وهو ظاهر ، بل هو المعروف الذي لا يعرف الأكثرون للوجود معنى سواه . . وهو لا يحتاج إلى مثال ، وهو الذي يجري على الظاهر ، ولا يتأول .

(ب) الوجود الحسي : وهو ما يتمثل في القوة الباصرة من العين بما لا وجود له خارج العين ، فيكون موجوداً في الحس ، ويختص به الحاس ، ولا يشاركه غيره ، وذلك كما يشاهده النائم ، بل كما يشاهده المريض المتيقظ ، إذ قد تتمثل له صورة لا وجود لها خارج حسه حتى يشاهدها كما يشاهد سائر الموجودات الخارجة عن حسه .

(ج) الوجود الخيالي : وهو صورة هذه المحسوسات إذا غابت عن حسك ، فإنك تقدر أن تختنع في خيالك صورة فيل وفرس وإن كنت مغمطاً عينيك حتى كأنك تشاهده وهو موجود بكمال صورته في دماغك لا في الخارج .

(د) الوجود العقلي : وهو أن يكون للنشء روح وحقيقة ومعنى ، فيتلقى العقل مجرد معناه دون أن يثبت صورته في خيال أو حس أو خارج ، كاليد مثلاً ، فإن لها صورة محسوسة ، ومتخيلة ، ولها معنى هو حقيقتها ، وهي القدرة على البطش ، والقدرة على البطش هي اليد العقلية .

(هـ) الوجود الشبهى: وهو أن لا يكون نفس الشيء موجوداً، لا بصورته ولا بحقيقته، لا فى الخارج ولا فى الحس ولا فى الخيال ولا فى العقل، ولكن يكون الموجود شيئاً آخر يشبهه فى خاصة من خواصه وصفة من صفاته . . ومثاله الغضب والشوق والفرح والصبر، وغير ذلك مما ورد فى حق الله تعالى، فإن الغضب - مثلاً - حقيقته: أنه غلبان دم القلب لإرادة التنفى، وهذا لا يتفك عن نقصان وألم، فمن قام عنده البرهان على استحالة ثبوت نفس الغضب لله تعالى ثبوتاً ذاتياً وحسباً وخيالياً وعقلياً نزله على ثبوت صفة أخرى يصدر منها ما يصدر من الغضب، كإرادة العقاب، والإرادة لا تناسب الغضب فى حقيقة ذاته، ولكن فى صفة من الصفات تقارنها وأثر من الآثار يصدر عنها، وهو الإيلام.

فهذه مراتب وجود الأشياء . . وهذه درجات التأويلات . . ومن اعترف بوجود ما أخبر به الرسول ﷺ، عن وجوده بوجه من هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذب على الإطلاق.

#### ٦ - والناس فى التأويل على مقامين:

أحدهما: مقام عوام الخلق، والحق فيه الاتباع والكف عن تعبير الظواهر رأساً، والحذر عن إبداء التصريح بتأويل لم تصرح به النصحية، وخسماً رأساً، والزجر عن الخوض فى الكلام والبحث واتباع ما تشابه من الكتاب والسنة.

المقام الثانى: بين النظار الذين اضطربت عقائدهم الماثورة المروية، فينبغى أن يكون بحسبهم بقدر الضرورة، وتركهم الظاهر بضرورة البرهان القاطع، ولا ينبغى أن يكفر بعضهم بعضاً بأن يراه غالباً فيما يعتقد برهائناً، وليكن البرهان بينهم قانون متفق عليه يعترف كلهم به . . فلا يلزم كفر المتأولين ما داموا يلازمون قانون التأويل.

٧ - ومن الناس من يبادر إلى التأويل بغلبات الظنون من غير برهان قاطع، ولا ينبغى أن يبادر إلى كفره - أيضاً - فى كل مقام، بل يُنظر فيه، فإن كان تأويله فى أمر لا يتعلق بأصول العقائد ومهماتها فلا تكفره، لأن النظريات قسمان: قسم يتعلق بأصول القواعد، وقسم يتعلق بالفروع . . وأصول الإيمان ثلاثة: الإيمان بالله، وبرسوله، وباليوم الآخر، وما عداه فروع. ولا تكفير فى الفروع أصلاً إلا فى مسألة واحدة وهى

أن ينكر أصلاً دينياً علّم من الرسول ﷺ ، بالتواتر ، لكن في بعضها . . [أي الفروع]  
- تخطئة كما في الفقهيات ، وفي بعضها تبديع كالحطّ المتعلق بالإمامة وأحوال  
الصحابة .

وأما ما يتعلق من هذا الجنس بأصول العقائد المهمة ، فيجب تكفير من يغير الظاهر  
بغير برهان قاطع . فالأصول الثلاثة ، وكل ما لم يحتمل التأويل في نفسه ، وتواتر  
نقله ، ولم يتصور أن يقوم برهان على خلافه فمخالفته تكذيب محض .

٨ - والمخالف قد يخالف نصّاً متواتراً ويزعم أنه مؤوّل ، ولكن ذكر تأويله لا انقذاح  
له أصلاً في اللسان - [اللغة] لا على بُعد ولا على قرب ، فذلك كفر ، وصاحبه  
مكذب ، وإن كان يزعم أنه مؤوّل . مثاله ما رأيت في كلام بعض الباطنية أن الله تعالى  
واحد ، بمعنى أنه يعطى الوحدة ويخلقها ، وعالم ، بمعنى أنه يعطى العلم لغيره  
ويخلقه ، وموجود ، بمعنى أنه يوجد غيره . وأما أن يكون واحداً في نفسه وموجوداً  
وعالمًا على معنى اتصافه فلا . وهذا كفر صراح ، لأن حمل الوحدة على إيجاد الوحدة  
ليس من التأويل في شيء ، ولا تحتمله لغة العرب أصلاً ، ولو كان خالق الوحدة يُسمى  
واحداً خلّقه الوحدة ، لسمى ثلاثاً وأربعاً لأنه خلق الأعداد أيضاً ، فأمثلة هذه المقالات  
تكذيبات عبّر عنها بالتأويلات .

٩ - ولو أنكر ما ثبت بأخبار الأحاد فلا يلزمه به الكفر ، ولو أنكر ما ثبت بالإجماع  
فهذا فيه نظر ، لأن معرفة كون الإجماع حجة قاطعة فيه غموض يعرفه المحصلون لعلم  
أصول الفقه ، وأنكر النظام [٢٣١ هـ ٨٤٥ م] كون الإجماع حجة أصلاً ، فصار كون  
الإجماع حجة مُختلف فيه . . (٣٨)

هكذا فصل أبو حامد الغزالي قانون التأويل . . وتحدث عن مراتب التأويل التي لا  
تخرج بالتأويل عن إطار التصديق إلى إطار التكذيب .



(٣٨) الغزالي - أبو حامد - [قبيل التفرقة بين الإسلام والزندقة] ص ٩٠ - ٩٩ طبعة القاهرة ١٩٠٧ م .  
وانظر كذلك [التنصيص على أصول الفقه] ج ١ ص ٣٨٤ - ٤١٠ طبعة القاهرة ١٣٢٢ هـ .

وإذا كان الغزالي قد وضع للتأويل هذا القانون . . . وحدد له هذه المراتب . . . فلقد كان ابن رشد سائراً على طريقه . رغم خلافهما حول بعض مقولات فلاسفة اليونان . بل لقد استشهد ابن رشد بأراء الغزالي . وإمام الحرمين . الجويني [٤١٩ - ٤٧٨ هـ - ١٠٢٨ - ١٠٨٥] . على أنه «لا يقطع بكفر من خرق الإجماع في التأويل» . ونبه على أن للتأويل العربي . أي في اللغة العربية . ضوابط حددتها هذه اللغة . فهو لا يجوز إلا في المواطن التي تتوفر فيها للنص هذه الضوابط اللغوية . وذلك عندما قال : «ومعنى التأويل : هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية ، من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز ، من تسمية الشيء بشبيهه أو بسببه أو لاحقه أو مقارنه ، أو غير ذلك من الأشياء التي عُدت في تعريف أصناف الكلام المجازي» .

كما نبه ابن رشد على الإجماع الإسلامي على أن التأويل جائز في بعض نصوص الشرع ، فلقد «أجمع المسلمون على أنه لا يجب أن تُحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها ، ولا أن تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل» . . . فما ثبت فيه «الإجماع بطريق يقيني لم يصح» فيه التأويل . وابن رشد في هذا الموقف من الإجماع أكثر تشدداً في الاقتصاد في التأويل من الغزالي . على عكس ما يظن الحداثيون والمغربون ! .

كما نبه ابن رشد على وجود شواهد في النصوص تُعين مواطن التأويل ومواضعه . . . فكان «ظاهر الشرع» هو سبيل من سبل التحديد لمواطن «التأويل» «لأنه ما من منطوق به في الشرع ، مخالف بظاهرة لما أدى إليه البرهان . إلا إذا اعتُبر وتُصَفِّحَت سائر أجزائه ، وُجد في ألفاظ الشرع ما يشهد بظاهرة لذلك التأويل ، أو يقارب أن يشهد» .

وخلص إلى أن المقصد من التأويل ، القائم «على قانون التأويل العربي» هو «الجمع بين المعقول والمنقول» ، وليس إحلال المعقول محل المنقول . . الأمر الذي جعل بالإمكان إيجاز عناصر قانون التأويل عنده على هذا النحو :

١ - التأويل جائز .

٢ - في المواطن التي يقوم فيها البرهان على استحالة الظاهر .

٣ - وبشرط تحقق شروط اللغة العربية في المجاز . الذي تُخرج فيه دلالات الألفاظ من حقيقتها إلى مجازها .



٤ - وفيما لم يثبت فيه إجماع يقينى على أن المراد هو ظاهر الألفاظ .

٥ - وبترشيع دلالات ظواهر بعض النصوص على مواطن التأويل فى بعضها .

٦ - ومن أجل الجمع بين المعقول والمنقول ، لا المقابلة بينهما ، والانحياز لأحدهما ، تجاوزاً للآخر أو نفيًا له .

٧ - على أن يظل التأويل حقًا للخاصة ، من الراسخين فى العلم ، لا يُصرَّح به للعمامة ، ولا يُثبَّت فى كتب الجمهور - حتى ولو كان تأويلًا صحيحًا ، مستجمعًا لشروط التأويل وضوابطه . . . وبعبارة ابن رشد : «فهذا التأويل لا ينبغي أن يصرَّح به لأهل الجدل ، فضلًا عن الجمهور ، ومتى صُرِّح بشيء من هذه التأويلات لمن هو من غير أهلها . . أفضى ذلك بالمصرَّح والمصرَّح إلى الكفر . . فلا يجب أن تثبت التأويلات الصحيحة فى الكتب الجمهوريّة ، فضلًا عن الفاسدة . . وأما المصرَّح بهذه التأويلات لغير أهلها فكافر» .

٨ - أما أخبار عالم الغيب ، وكذلك المعجزات ، ومبادئ الشريعة ، وكل ما لا يستطيع العقل الإنسانى الاستغلال بإدراك كتبه ، فلقد أوجب ابن رشد أخذه على ظواهره ، دون تأويل ، لأن هذه العقائد - عنده - مما تُعَلَّم بنفسها ، بالطرق الثلاث للتصديق الخطيئة . . والجدلية . . والبرهانية . . ولذلك - كما يقول - «لم نحتاج أن نصرب له أمثالا ، وكان على ظاهره ، لا يتطرق إليه تأويل . وهذا التحريم من الظاهر إن كان فى الأصول فالتأويل له كافر ، مثل من يعتقد أنه لا سعادة أخروية ههنا ولا شقاء ، وأنه قصد بهذا القول أن يسلم الناس بعضهم من بعض فى أبدانهم وجواسيهم ، وأنها حيلة ، وأنه لا غاية للإنسان إلا وجوده المحسوس فقط . . إن ها هنا ظاهراً من الشرع لا يجوز تأويله ، فإن كان تأويله فى المبادئ فهو كفر ، وإن كان فيما بعد المبادئ فهو بدعة» .

٩ - وحتى الحكماء من الفلاسفة - برأى ابن رشد - لا يجيزون تأويل أخبار الغيب ومبادئ الشريعة والمعجزات . . ولا يجوز عندهم التكلم ولا الجدل فى مبادئ الشرائع وفاعل ذلك عندهم محتاج إلى الأدب الشديد ، وذلك أنه لما كانت كل صناعة لها مبادئ ، وواجب على الناظر فى تلك الصناعة أن يسلم مبادئها ، ولا

يتعرض لها ينفي ولا إبطال ، كانت الصناعة العملية الشرعية أخرى بذلك ، لأن المشي على الفضائل الشرعية هو ضروري عندهم ، ليس في وجود الإنسان بما هو إنسان ، بل وبما هو إنسان عالم ، ولذلك يجب على كل إنسان أن يسلم مبادئ الشريعة وأن يقلد فيها ، فإن جحدتها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الإنسان ، ولذلك وجب قتل الزنادقة . فالذي يجب أن يقال فيها : إن مبادئها أمور إلهية تفوق العقول الإنسانية ، فلا بد أن يُعترف بها مع جهل أسبابها . . ولذلك لا تجدد أحدا من القدماء تكلم في المعجزات ، مع انتشارها وظهورها في العالم ، لأنها مبادئ تثبيت الشرائع ، والشرائع مبادئ الفضائل ، ولا فيما يقال بعد الموت . فإذا نشأ الإنسان على الفضائل الشرعية كان فاضلا بإطلاق ، فإن تمادى به الزمان والسعادة إلى أن يكون من العلماء الراسخين في العلم ، فعرض له تأويل في مبادئها من مبادئها ، فيجب عليه أن لا يصرح بذلك التأويل ، وأن يقول فيه كما قال تعالى [والراسخون في العلم يقولون أماناً به] . هذه حدود الشرائع وحدود العلماء .

١٠ - ويرى ابن رشد أن الإفراط في التأويل ، بعد عصر الصدر الأول للأمة ، هو المسئول عن أمراض الاضطراب والفرقة والتكفير التي شاعت وانتشرت «فالصدر الأول إنما صار إلى التفضيلة الكاملة والتقوى باستعمال هذه الأقاويل» (التي بُنيت في الكتاب العزيز) دون تأويلات فيها ، ومن كان منهم وقف على تأويل لم يصرح به .

وأما من أتى بعدهم ، فإنهم لما استعملوا التأويل قلّ تقواهم ، وكثر اختلافهم ، وارتفعت محبتهم وتفرقوا فرقا ، فيجب على من أراد أن يرفع هذه البدعة عن الشريعة ، أن يعتمد إلى الكتاب العزيز ، فيلتقط منه الاستدلالات الموجودة في شيء شيء ، مما كُلفنا اعتقاده ، ويجتهد في نظره إلى ظاهرها ما أمكنه من غير أن يتأول من ذلك شيئا ، إلا إذا كان التأويل ظاهرا بنفسه ، أعنى ظهورا مشتركا للجميع . . ذلك أنه لما تسلط على التأويل في هذه الشريعة من لم تتميز له هذه المواضع ، ولا تميز له الصنف من الناس الذي يجوز التأويل في حقهم ، اضطرب الأمر فيها ، وحدث فيهم فرق متباينة يكفر بعضهم بعضا ، وهذا كله جهل بمقصد الشرع وتعد عليه» (٣٩).

(٣٩) أبو الوليد بن رشد [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٦ ، ٣٢ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٦٥ ، دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة - طبعة القاهرة ١٩٩٩ م . وإنهافت [ص ١٢٤ ، ١٢٥] طبعة القاهرة ١٩٠٣ م . و [مناهج الأدلة في عقائد الملة] ص ٥١ ، ٤٩ ، دراسة وتحقيق : د. محمود فاسم - طبعة مكتبة الأنجلو - القاهرة .

هكذا وضع ابن رشد قانوناً للتأويل ، وشروطاً لجوازه ، قصرته على ما وراء العقائد ومبادئ الشريعة وأخبار الغيب والمعجزات ، وجعل التأويل فيما وراء ذلك مشروطاً بتوفر الضوابط اللغوية ، وبشهادة النصوص المؤولة على أن فيها تأويلاً ظاهراً بنفسه للجميع .

وهي ضوابط أكثر في التشدد والاقتصاد في التأويل مما رأيناها عند الغزالي . . . على عكس ما يتوهم كثير من الحداثيين والمنغريين !



ولقد أحييت مدرسة الإحياء والتجديد الإسلامية ، التي تبلورت في واقعنا الفكري بالعصر الحديث - بزيادة جمال الدين الأفغاني [ ١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م ] - أحييت هذا المنهاج الإسلامي في فلسفة التأويل ، فجاء مضبوطاً بهذه الضوابط التي ميزته عن عشية وعشوائية الهيرمينوطيقا الغربية ، حتى يكون مناسباً لطبيعة الوحي القرآني الخالد والمطلق والمحفوظ حفظاً إلهياً .

فتحدث الأفغاني عن ضرورة التأويل للحفاظ على كمالات الصفات الإلهية ، ذلك « أن الألفاظ لا تفيد اليقين بحد لولاتها ، لكثرة تطرق الاحتمال ، فلا مسبيل إلا الاستدلال ، وتأويل ما يبدى بظاهره نقصاً إلى ما يفيد الكمال . وإذا صح التأويل للبرهان في شيء صح في بقية الأشياء ، حيث لا فرق بين برهان وبرهان ولا لفظ ولفظ » .

وإذا كان الأصل هو الظاهر - ظاهر الألفاظ - فإن التأويل ضرورة لدفع المعاند ، وإفناع الجاحد ، اللذين لا يندفعان ولا يشنعان بالظواهر . . . وضروري كذلك حتى تتأسس العقائد على البراهين ، مع استبعاد الأخبار الإلهية التي لا يدرك مآلاتها إلا الله بالقبول والتسليم . وملاحظة أن التأويل في ألفاظ الأعمال أوسع من التأويل في ألفاظ المعتقدات والمغيبات . . . فالحق الذي يرشد إليه الشرع والعقل : أن يذهب الناظر المتدين إلى إقامة البراهين الصحيحة على إثبات صانع واجب الوجود ، ثم منه إلى إثبات النبوات ، ثم يأخذ كل ما جاء به النبوات بالتصديق والتسليم بدون فحص فيما تكنه الألفاظ ، إلا فيما يتعلق بالأعمال . على قدر الطاقة ، ثم يأخذ طريق التحقيق في تأسيس جميع عقائده بالبراهين الصحيحة ، كان ما أدت إليه ما كان ، لكن بغاية التحري

والاجتهاد. ثم إذا قاء من فكره إلى ما جاء من عنده، فوجده بظاهرة ملائمة لما حققه، فليحمد الله على ذلك، وإلا فليطرق عن التأويل، ويقول: آمنا به كل من عند ربنا، فإنه لا يعلم مراد الله ونبيه إلا الله ونبيه. فعلى هذا المنوال يكون نسجه، فيبوء من الله برضوان، حيث أسس عقائده على السديد من البراهين، واستقبل الأخبار الإلهية بالقبول والتسليم، وتناولها بقلب سليم.

وإن أراد التأويل لغرض: كدفع معاند، أو إقناع جاحد، فلا بأس عليه، إذا سلم برهانه من التقليد والشوش، وهذا هو دأب مشايخنا كالشيخ الأشعري [٢٦٠ - ٣٢٤ هـ ٨٧٤ - ١٩٣٦ م] والشيخ أبي منصور، ومن مائلهم. لا يأخذون قولاً حتى يسدوه ببراهينهم القوية، على حسب طاقتهم.

وطريق الراسخين في العلم هو طريق النظر بقدر الطاقة في إقامة البراهين القطعية، دون تعسف في التأويل، ثم قول ﴿آمنا به كل من عند ربنا﴾... إذ الواجب على كل ذي عقل: أن يذهب إلى النظر في الحقائق، ويسبرها على وجه أدق، بحسب طاقته، ويقيم البراهين القطعية، على النفي والإثبات، ثم يأخذ ألفاظ الشارع مسلمة مقبولة، قائلاً: ﴿آمنا به كل من عند ربنا﴾ [آل عمران: ٧] ولا يتعسف طريق التأويل. فإن هذا حال شرحة طويل، فإننا لا ندري ماذا أراد بما قال، فربما ذهب اشتغائنا هباء منثوراً. فالحق: أن لا يهمل النظر، وأن يكون التأويل على خطر. وهذه رتبة الراسخين في العلم، الذين وقفوا على الحقائق بصفاء عقولهم، ثم يقبلون ما جاءهم من ربهم، مع عدم الاستطلاع لما هو دفين تحت حجب أستاره<sup>(١٠)</sup>.

هكذا تحدث الأفغانى بدقة وحذر وتوازن عن التأويل: فالحق أن لا نهمل النظر، وأن يكون التأويل على خطر، وأن تؤسس العقائد على البراهين. ثم نأخذ الأخبار بالتسليم، وخاصة ما تعلق منها بما هو دفين تحت حجب أستار علام الغيوب.

وعند الإمام محمد عبده [١٢٦٥ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م] نجد التأويل ضرورة للتوفيق بين التعارض البادي بين ظواهر الألفاظ وبين العقل، فلقد اتفق أهل

(١٠) جمال الدين الأفغانى [الأعمال الكاملة] ج ١ ص ٢٢٠ - ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٨٩. دراسة وعقيد د. محمد حمادة، طبعته سنة ١٩٧٩ م.



الملة الإسلامية إلا قليلا من لا ينظر إليه ، على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل ، وبقي في النقل طريقان :

طريق التسليم بصحة النقل ، مع الاعتراف بالعجز عن فهمه ، وتقويض الأمر إلى الله في علمه .

والطريق الثانية : تأويل النقل ، مع المحافظة على قوانين اللغة ، حتى يتفق معناه مع ما أثبتته العقل . . . .

وإذا كانت أخبار الغيب فيها الثوابت والفروع ، فلا بد عند جواز التأويل في أخبار الفروع من الحفاظ على الثوابت ، مع مراعاة عدم الاقتداء بالتأويل . . . . . فالتأويل شهوة تستهيهها عقول الخاصة ، وليس منهاجا عاما للتقليد والاقتداء . . . . . فمن اعتقد بالكتاب العزيز ، وبما فيه من الشرائع العملية ، وعسر عليه فهم أخبار الغيب على ما هي في ظاهر القول ، وذهب بعقله إلى تأويلها بحقائق يقوم له الدليل عليها ، مع الاعتقاد بحياة بعد الموت ، وثواب وعقاب على الأعمال والعقائد ، بحيث لا ينقص تأويله شيئا من قيمة الوعد والوعيد ، ولا ينقص شيئا من بناء الشريعة في التكليف ، كان مؤمنا حقا ، وإن كان لا يصح اتخاذ قدوة في تأويله ، فإن الشرائع الإلهية قد نظر فيها إلى ما تبلغه طاقة العامة لا ما تستهيه عقول الخاصة . والأصل في ذلك أن الإيمان هو اليقين في الاعتقاد بالله ورسله واليوم الآخر فلا فيد في ذلك إلا احترام ما جاء على السنة الرسل . . . .

ومقام الراسخين في العلم هو مقام الذين يدركون حدود العقل بإزاء الغيب المحجوب الذي لم يحيطوا به علما ، مع المؤاخاة بين الدين والعلم على تقويم العقل والوجدان . . . . «فالدين يأخذ بيد العلم ، ويتعاونان معا على تقويم العقل والوجدان ، فيدرك العقل مبلغ قوته ويعرف حدود سلطته ، فيتصرف فيما آتاه الله تصرف الراشدين ، ويكشف ما مكنه فيه من أسرار العالمين ، حتى إذا غشيت سبحات الجلال وقف خاشعا ، وفل راجعا ، وأخذ أخذ الراسخين في العلم الذين قال فيهم أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، فيما روى عنه : «هم الذين أغناهم عن

اقتحام السدود المضروبة دون الغيب، الإقرار بجملته ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا علماً، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً. فاعتبر بذلك، ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين<sup>(٤١)</sup>.

فالتأويل الإسلامي هو طريق لدعم اليقين الإيماني بأصول الاعتقاد الديني، وسبيل لإزالة الشبهات عن هذا اليقين، كي يزداد رسوخاً. وليس سبيلاً لنقض هذا الإيمان، ولا لتفريغ النص الديني من الدين، كما هو حاله في الهيرمينوطيقا الغربية.

وعند الشيخ محمد رشيد رضا [١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م] أن هناك استحالة في وجود تناقض بين النص القطعي الدلالة وبين الدليل العقلي أو الحقيقة العلمية المقطوع بها. وأن التأويل هو طريق التوفيق بين ما قد يبدو من تناقض بين الحقائق الكونية وظواهر بعض الألفاظ - ففى حقائق الكون مجال واسع للعقل ومن ثم للتأويل. «فإذا وصل بحث الباحثين في أمور الكون إلى حقيقة مخالفة لظاهر الوحي فيها، وصار ذلك قطعياً وجب تأويل عبارة الوحي فيها بحملها على التجوز، أو الكناية، أو مراعاة العرف، كغروب الشمس في العين أو البحر مثلاً، وتخييط الشيطان للمصروع في قول. ونعتقد نحن معشر المسلمين أن من مزاي كتابنا أنه ليس فيه نص قطعي الدلالة يمكن أن ينقضه دليل عقلي أو علمي قطعي...»<sup>(٤٢)</sup>.



وإذا كان أبو حامد الغزالي قد حدد مراتب الوجود للتأويل المقبول - بعد أن صاغ قانون التأويل - فإن العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور قد حدد «مراتب التشابه وتفاوت أسبابها»، وقال: «إنها فيما انتهى إليه استقرارها عشر مراتب:

**أولاهـا:** معان قصد إيداعها في القرآن، وقصد إجمالها، إما لعدم قابلية البشر لفهمها، ولو في الجملة - إن قلنا بوجود المجمال الذي استأثر الله بعلمه، ونحن لا نختاره - وإما لعدم قابليتهم لكنه فهمها. فأنقبت إليهم على وجه الجملة، أو لعدم

(٤١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج ٣ ص ٣٠١، ٤٨٣، ٣٥٠.

(٤٢) [رشيد رضا] [الشارح للحدود] ج ٢ ص ٥٣.

قابلية بعضهم في عصر - أو جهة - لفهمها بالكثرة، ومن هذا أحوال القيامة، وبعض شئون الربوبية، كالإتيان في ظلال من الغمام، والرؤية، والكلام، ونحو ذلك.

وثانيتهما: معان قصص إشعار المسلمين بها - وتعين إجمالها - مع إمكان حملها على معان معلومة، ولكن بتأويلات كحروف أوائل السور، ونحو ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ [البقرة: ٢٩].

وثالثتها: معان عالية ضاقت عن إبقاء كثرتها اللغة الموضوع لأقصى ما هو متعارف أهلها، فعبر عن تلك المعاني بأقصى ما يقرب معانيها إلى الأفهام، وهذا مثل أكثر صفات الله، نحر الرحمن، الرؤوف، المتكبر، نور السموات والأرض.

ورابعتها: معان قصرت عنها الأفهام في بعض أحوال العصور، وأودعت في القرآن ليكون وجودها معجزة قرآنية عند أهل العلم في عصور قد يضعف فيها إدراك الإعجاز النظمي، نحو قوله: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ [يس: ٣٨] ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ [الحجر: ٢٢] ﴿يكور الليل على النهار﴾ [الزمر: ٥] ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر من السحاب﴾ [النمل: ٨٨] ﴿ثبت بالدهن﴾ [المؤمنون: ٢٠] ﴿زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ [التور: ٣٥] ﴿وكان عرشه على الماء﴾ [هود: ٧] ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ [فصلت: ١١] وذكر سد يأجوج ومأجوج.

وخامستها: مجازات وكتابات مستعملة في لغة العرب، إلا أن ظاهرها أوهم معاني لا يلبي الجميل عليها في جانب الله تعالى، لإشعارها بصفات تخالف كمال الإلهية، وتوقف فريق في حملها لتزيها، نحو ﴿فإنك بأعيننا﴾ [الطور: ٤٨] ﴿والسما بيناها بأيدي﴾ [الذاريات: ٤٧] ﴿ويبقى وجه ربك﴾ [الرحمن: ٢٧].

وسادستها: ألفاظ من لغات العرب لم تعرف لدى الذين نزل القرآن بينهم: قريش والأنصار، مثل: ﴿وفاكية وأيا﴾ [عبس: ٣١] ومثل: ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ [النحل: ٤٧] - التخوف: التنقص بلغة هذيل - ﴿إن إبراهيم خليل آواه﴾ [هود: ٧٥] ﴿ولا طعام إلا من غسلين﴾ [الحاقة: ٣٦].

وسابعتها: مصطلحات شرعية لم يكن للعرب علم بخصوصها، فما اشتهر منها بين المسلمين معناه، صار حقيقة عرفية: كالنيمم، والزكاة، وما لم يشتهر بقي فيه

إجمال، كالربا، قال عمر [٢٠ ق هـ - ٢٣ هـ ٥٨٤ - ٦٤٤ م]: «نزلت آيات الربا في آخر ما أنزل، فتوفي رسول الله ﷺ، ولم يبينها...».

وثامتها: أساليب عربية خفيت على أقوام فظنوا الكلام بها متشابهاً، وهذا مثل زيادة الكاف في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ومثل المشكلة في قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] - فيعلم السامع أن إسناد خادع إلى ضمير الجلالة إسناد بمعنى مجازي اقتضته المشكلة.

وتاسعتها: آيات جاءت على عادات العرب، ففهمها المخاطبون، وجاء من بعدهم فلم يفهموها، فظنوها من المتشابه، مثل قوله: [فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما] وفي [الموطأ] قال ابن الزبير [١ - ٧٣ هـ ٦٢٢ - ٦٩٢ م]: «قلت لعائشة - وكنت يومئذ حدثاً لم أنفق - لا أرى بأسا على أحد ألا يطوف بالصفاء والمروة» فقالت له: «ليس كما قلت، إنما كان الأنصار يهلون لمناة الطاغية... الخ».

ومنه: ﴿عَلَّمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] «ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا» [المائدة: ٩٣] فإن المراد فيما شربوا من الخمر قبل تحريمها.

وعاشرتها: أفهام ضعيفة عدت كثيراً من التشابه وما هو منه، وذلك أفهام الباطنية، وأفهام المشبهة، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] وليس من التشابه ما صرح فيه بأننا لا نصل إلى علمه، كقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] ولا ما صرح فيه بجهل وقته كقوله ﴿لَا تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وليس من التشابه ما دل على معنى بعارض الحمل عليه دليل آخر، منفصل عنه، لأن ذلك يرجع إلى قاعدة الجمع بين الدليلين المتعارضين، أو ترجيح أحدهما على الآخر، مثل قوله تعالى خطاباً لإبليس: ﴿وَاسْتَفِزْ مِنْ اسْتَضْعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] - مع ما في الآية المقضية: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] «والله لا يحب الفساد» [البقرة: ٢٠٥].



وقد علمتم من هذا أن - ملاك التشابه هو عدم التواطؤ بين المعاني واللغة : إما لضيقها عن المعاني ، وإما لضيق الأفهام عن استعمال اللغة في المعنى ، وإما لتناسي بعض اللغة ، فيبين أن الأحكام والتشابه : صفتان للألفاظ ، باعتبار فهم المعنى . (٤٣)

وبهذا صار «التشابه» قانوناً ، كما أن للتأويل قانوناً . . وهي قوانين ضابطة لهذا المبحث في فكرنا الإسلامي : إن وجود التشابه في القرآن الكريم ، ومن ثم وجود ضرورة التأويل لهذا التشابه ، قد مثل وفاء القرآن الكريم بتهمة الكثر الذي لا تنقضي عجائبه ليظل دائماً وأبداً مستجيباً لتحقيق الحياة السوية للمكلفين ، أفراداً وجماعات ومجتمعات ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . - إنه الوفاء بمقصد من مقاصد وحى الشريعة الخاتمة والخالدة والعالمية . . وبعبارة العلامة الطاهر بن عاشور : «فإن من مقاصد القرآن أمرين آخرين :

أحدهما : كونه شريعة دائمة ، وذلك يقتضي فتح أبواب عباراته لمختلف استنباط المستنبطين ، حتى تؤخذ منه أحكام الأولين والآخرين .

وثانيهما : تعويد حملة هذه الشريعة ، وعلماء هذه الأمة ، بالتنقيب والبحث واستخراج المقاصد من عويصات الأدلة ، على أن تكون طبقات علماء الأمة صالحة - في كل زمان - لفهم تشريع الشارع ومقصده من التشريع ، فيكونوا قادرين على استنباط الأحكام التشريعية . ولو صيغ لهم التشريع في أسلوب سهل التناول لاعتادوا العكوف على ما بين أنظارهم في المطالعة الواحدة . من أجل هذا كانت صلوحية عباراته لاختلاف منازع المجتهدين ، قائمة مقام تلاحق المؤلفين في تدوين كتب العلوم ، تبعاً لاختلاف مراتب العصور» (٤٤).

فللمحكم حكمه . . وللمتشابه وظائفه . . هكذا أصبح التأويل - في مدرسة الوسطية الإسلامية - سبيلاً من سبل الغنى الفكري والثراء التشريعي ، والكشف عن كنوز الحقائق القرآنية الداعمة للإيمان الديني . . وليس سبيلاً لتبديد هذا الإيمان الديني كما هو الحال في انهيار ميثاقنا الغربية . . أو مسخ الإيمان الديني ، بالإحالة والإغراب ، كما هو الحال في تأويلات الباطنيين الغلاة .



(٤٣) [التحرير والتأويل] ج ٣ ص ١٥٨ - ١٦٠

(٤٤) انظر السابق ج ٣ ص ١٥٨

## وعند الصوفية

هناك فارق جوهري وكبير بين «التصوف» كمنهاج في تهذيب النفس بالمجاهدات الروحية، عندما يكون هذا التصوف ملتزماً بالشرعة، وبين «الترعة الباطنية» التي وإن ادعت الروحانية، إلا أنها تذهب على طريق الغلو في التأويل للدين إلى الحد الذي تفرغ فيه الدين من محتواه الحقيقي، عقيدة كان هذا المحتوى أو شرعة على حد سواء.

وإذا كانت الرهبة النصرانية يمكن أن تصنف مع التصوف، فإن «الغنوصية» الباطنية التي غزت اليهودية والنصرانية، وفرغتهما من محتوَاهما الحقيقي، لا يمكن أن تعد رهبة ولا تصوفاً.

وكذلك كان الحال في النسق الفكري الإسلامي، والمسيرة الحضارية لأمة الإسلام. تميز «التصوف الشرعي» عن «الغلو الباطني»... وكان التأويل، وقراءة النص الديني من أهم الحقوق التي يمكن أن نلمس فيها الفروق الجوهرية بين التصوف وبين النزعات الباطنية.

صحيح أن كثيرين من الصوفية قد تميزت قراءاتهم للنص الديني عن قراءة الفلاسفة والمفسرين للقرآن الكريم، ولكنهم لم يصلوا على طريق الغلو إلى ما وصل إليه الباطنيون، فلقد ظل الفارق الجوهري بين الصوفية وبين الباطنية متمثلاً في أن القراءة الصوفية هي صعود في النص للوصول إلى المتكلم ومعاصده، بينما كان التأويل الباطني - كما سنرى بعد قليل - إلغاء لأية مقاصد للمتكلم، على النحو الذي صنعتته الهيرمينوطيقا مع المؤلف - في التصوص البشرية - ومع الله - في التوراة والإنجيل.

فالقراءة الصوفية للنص الديني تتدرج في استكناه بواطنه، والصعود إلى عوالمه، ولكن دون اجتياح لمناطق المواضع اللغوية، ولا لتأويل الإيمان الديني... ولقد اشتهر التمييز في هذه القراءة الصوفية بين «مقامات ثلاثة»:

**المقام الأول:** هو مقام العارفين من المؤمنين الذين يتوصلون إلى الله من خلال كلامه، ومعرفة معاني خطابه، فالثلاوة هنا هي التوصل إلى المتكلم. . . ولأن الله، سبحانه وتعالى - كما يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق - «قد تجلّى لخلقه بكلامه، ولكنهم لا يسمعون». . . فإن الصوفي العارف يبحث عن الله في خطابه، فلا يتنظر إلى نفسه، أو إلى أفعاله. . . فهو موقوف الفكر على المتكلم - الله - مستغرق بمشاهدته. . . بينما القارئ العادي يقرأ النص ليعرف نفسه، ويعرف أفعاله.

**أما المقام الثاني:** فهو مقام عموم المفربين، وهم من يشهدون بقلوبهم كأنه تعالى يخاطبهم ويناجيهم بالظافة، وحالهم الإصغاء والفهم.

**والمقام الثالث:** - وهو أرفع المقامات - هو مقام أصحاب اليمين، الذين يرون أنهم يتاجون ربهم، سبحانه وتعالى،<sup>(٤٥)</sup>

لكن جميع أصحاب هذه المقامات، في كل ألوان القراءة هذه، هم باحثون عن المتكلم، ساعون إلى الاقتراب من المصدر، واكتناه المقاصد. . . بينما الغلو الباطني تؤدي قراءته إلى إلغاء المتكلم، وطي صفحة المقاصد الحقيقية لمبدع النص الديني.

ولذلك كان تعريف التأويل، عند الصوفية: «أنه لغة أخرى، إلهامية، نفثها الله في قلب عبده، وكشف عن طريق التصوير بصور الصفات، وتلقين إملائي من الوحي، دون تدخل وتوسط للعقل البشري فيه، فما كُتِبَ هنا كُتِبَ من قبل بواسطة الحق مباشرة، ويد الكاتب هنا يد الله، لأنها خطت ما أملى عليها، والعقل الذي صاحب اليد كان شحداً فقط على ما يمكن للعقل الفعّال أن ينتجه مباشرة، وبلغة الفلسفة ومصطلحاتها، دون الاستعانة بأية قدرة عقلانية بشرية مباشرة، وهذه هي أعلى الدرجات التي يمكن أن يبلغها المربي المصطفى المختار على عين ربه ليبلغ الناس آيات ورسالات جوهرها الحقيقة التي خصت أربابها فقط».

«ولهذا كان التأويل للمخواص، أو خواص الخواص، والله المرشد لا غيره، وعليه التوكل، ومنه الفيض والوحي»<sup>(٤٦)</sup>.

(٤٥) [القارئ والنص: العلامة والدلالة] ص ١١٦

(٤٦) محمد غازي عرابي [النص ص في مصطلحات الصوفية] - مادة التأويل - مطبعة دمشق ١٩٨٥ م.

فالتأويل: قراءة القلب، الذي يتلقى الفيض والإلهام، والعقل مجرد شاهد. لكن  
بطل المقصد هو الصعود إلى المتكلم، والسعي لاكتناه مفاهيم الخطاب.

وعندما وقف القشيري، عبد الكريم بن هوازن [٣٧٦ - ٤٦٥ هـ ٩٨٦ - ١٠٧٢ م] -  
وهو من أعلام الصوفية وعلمائهم - أمام مصطلح «التأويل» في الآية السابعة من آل  
عمران «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر  
متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فينبغون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء  
تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون أمتنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا  
الألباب» . . قال: «جئنا عليهم الخطاب، فمن ظاهر واضح تنزيله، ومن غامض  
مشكل تأويله. القسم الأول لسط الشرع واهداء أهل الظاهر، والقسم الثاني لصبغة  
الأسرار عن اطلاع الأحاط عليها، فسبيل العلماء الرسوخ في طلب معناه على ما  
يوافق الأصول، فما حصل عليه الوقوف فمقابل بالقبول، وما امتنع من التأثير فيه  
بعلول الفكر سلموه إلى عالم الغيب.

وسبيل أهل الإشارة والفهم إلقاء السمع بحضور القلب، فما سنج لفهومهم من  
لائح التعريفات بنوا عليه إشارات الكشف.

إن طوليوأ باستدامة السر وطى السر تخار سوا عن النطق، وإن أمروا بالإظهار  
والنشر أطفوا بيان الحق، ونطقوا عن تعريفات الغيبة، فأما الذين أبدوا بأنوار البصائر  
فمستضيئون بشعاع شمس الفهم، وأما الذين ألبسوا غطاء الريب، وحرّموا تصانف  
التحقيق، فتنقسم بهم الأحوال وتترجم بهم الظنون. وبطبيخون في أودية الريب  
والتليس، فلا يزدادون إلا جهلاً على جهل ونوراً على شك.

كما يقول القشيري، في تفسير قوله حل ذكره: «وما يعلم تأويله إلا الله»: . . ومن  
وجد علمه من الله فيكون إيمانهم بلا احتمال جولان خواطر التجويز، بل عن  
صريحات الظهور، وصافيات اليقين. وأما أصحاب العقول الصاحبة ففي صحبة  
التذكر، لظهور البراهين<sup>(٤٧)</sup>.

(٤٧) القشيري (لطائف الإشارات) المجلد الأول ص ٢٢٠، ٢٢١ تخفيف: د. إبراهيم سبيوني. طبعة  
القاهرة ٢٠٠٠ م.



فالراسخون في العلم هم الذين يطلبون المعاني التي توافق الأصول . . لكن من هؤلاء من يصلون إلى مقام الظهور . . ومن تقف بهم العقول الصحاحية عند حد ظهور البراهين ! .

لكن . . في كل الحالات والمقامات والقراءات والتأويلات ، فالهدف هو الوصول إلى أعلى مستويات الفهم لمقاصد المتكلم . . وليس ادعاء موت المتكلم - صراحة - أو بواسطة الغلو العبثي في تأويل النصوص .



## التأويل الباطنى

وإذا كانت الحضارة الغربية قد شهدت «هيرمينوطيقا النص الدينى»، تلك التى فرغت الدين - بالغلو التأويلى - من حقيقة الدين، فإن التأويل الباطنى لدى المشرقى الباطنية، التى ظهرت وعاشت فى العالم الإسلامى، قد كان - ولا يزال - نسخة شرقية من هذه الهيرمينوطيقا، التى استباححت واجتاحت كل ضوابط اللغة والمنطق الدينى، والثوابت الاعتقادية، وذلك فضلاً عن محكمات الآيات، وهى تؤول القرآن الكريم وعقائد الإسلام، بما فيها الألوهية، والنبوّة، والوحى.

فهذا اللون من التأويل هو «تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن»، وتحويل النصوص الدينية المقدسة إلى مجرد رموز وإشارات إلى حقائق خفية وأسرار مكنونة، وجعل الطقوس والشعائر، بل والأحكام العملية - هى الأخرى - رموزاً وأسراراً، والقول بأن عامة الناس هم الذين يقتنعون بالظواهر والقشور، ولا يتفقدون إلى المعانى الخفية المستورة التى هى من شأن أهل العلم الحق، علم الباطن. . فلكل ظاهر باطن، ولكل تنزيل تأويل. .» (٤٨).

فالتأويل الباطنى مثله كمثل هيرمينوطيقا النص الدينى فى التراث الغربى، يعمم التأويل فى كل النصوص، دون التمييز بين المحكم منها وبين المشابه. . ولا يقيم اعتباراً للمواضع اللغوية فى النص المؤول. . ولا لمنطق الثوابت الدينية والاعتقادية. . بل إنه يشمل بهذا الغلو التأويلى ثوابت الاعتقاد، حتى لقد فرغ الدين من محتواه، على ذات النمط العبثى الذى صنعه الهيرمينوطيقا بالعهد القديم والعهد الجديد فى التراث الغربى للتأويل.

(٤٨) [مذاهب الإسلاميين] ج ٢ ص ١٠٧.

\* فالإسماعيلية - مثلاً - يكاد تأويلها الباطنى أن ينسخ الإسلام . . فالباطن عندها ينسخ الظاهر ، حتى أنها تحل شريعة الباطن محل شريعة الظاهر التى جاء بها خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ - باعتبارها «الظاهر» الذى تحل محله «الباطن» . . فتزعم أن الإمام محمد بن إسماعيل هو الناطق السابع . وأن الإمام الناطق السابع هو ناسخ عهد ، وفتح لعهد جديد ، وهو صاحب شريعة . ولكن ليس معنى أنه ناسخ عهد : أنه ناسخ شريعة ، فهو لا ينسخ شريعة محمد ﷺ ، بل يؤكد لها ، ويظهر باطنها ، بمزيد من التأويل والكشف عن حقيقة التوحيد فهو - كما قال الإمام المعز لدين الله الفاطمى [٣١٩ - ٣٦٥ هـ - ٩٣١ - ٩٧٥ م] - : «عُطِّلَتْ بقيامه ظاهر شريعة محمد ، لما كان لمعانها مبيتاً ، ولأسرارها كاشفاً ومُجَنِّباً» . فالنسخ يتعلق بظاهر الشريعة لا بباطنها<sup>(٤٩)</sup> . . فهو تأويل ناسخ للظاهر ، كل الظاهر .

وهم يؤولون الآية القرآنية «وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا» [البقرة : ٣٥] بمحمد بن إسماعيل وأبيه إسماعيل ويؤولون «وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ» [البقرة : ٣٥] بالإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، ومن ادعى الإمامة من ولده .

والكرماني [٣٥٢ - ٤١٢ هـ - ٩٦٣ - ١٠٢١ م] - صاحب [راحة العقل] - يؤول نعيم الجنة تأويلاً روحياً خالصاً ، لا أثر فيه لشيء من اللذات الحسية والحسنية . . وأبو يعقوب السجستاني [٣٣٤ هـ - ٩٤٥ م] - صاحب [البنابيع] - يؤول «الثواب الأخروى بالعلم» . . فظواهر الشريعة منسوخة بباطنها ، وجميع الظواهر أمثال مضرورية ، والمراد منها المعانى الباطنة فيها ، وهى التى عليها العمل وفيها النجاة . . والظاهر منهى عنه ، وفى استعماله الهلاك ، وهو جزء من العذاب الذى يعذب به الآخذون به ، لأنهم لم يعرفوا الحق الباطن !<sup>(٥٠)</sup> .

\* ولقد جاءت «النصيرية» مرحلة أعلى فى غلو التأويل الإسماعيلى . . ففى [كتاب تعليم ديانة النصيرية] - ومنه مخطوط بالمكتبة الأهلية ببغداد - رقمه ٦١٨٢ - نجد الغنوصية الحلولية قد بلغت بهم إلى تأليه الإمام على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه . . وفى هذا المخطوط - الذى جاء فى صورة أسئلة وأجوبة - يأتى :

(٤٩) المرجع السابق . ج ٢ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤

(٥٠) المرجع السابق . ج ٢ ص ٣١١ ، ٣١٢ . و [كشف اصطلاحات الفنون] - للتهانوى - و ٥ . محمد عمارة

[الوسيط فى المذاهب والاصطلاحات] ص ٩٥ ، ٩٦ . طبعة القاهرة ١٩٩٩ م .

- السؤال رقم ٩٧ : «ما معنى الكلمة الظاهرة والكلمة الباطنة؟»

- والجواب : «الباطنة هي ألوهية مولانا، والظاهرة هي قدرته، فظاهرنا نقول عنه : مولانا على بن أبي طالب، ويعنى هذا باطنا : «المعنى» و «الاسم» و «الباب» الله الغفور الرحيم».

والمراتب عندهم - كما فى هذا المخطوط - سبعة . . والمرتبة الثالثة منها هي مرتبة النقيباء، وعددهم ٦٠، ولهم سبع درجات، هي : الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والاجتهاد، والدعاء، والتواضع.

وفى أحد كتبهم - [مجموع الأعياد والدلالات والأخبار المبهرات] لأبى سعيد يموت ابن الفاسم الطبرانى - وصف للإمام على بن أبى طالب بأنه «أحد، حسد، ثم يولد، ولم يلد، وأنه قد تم لم يلد، وجوهرة نور، ومن نوره تسطع الكواكب، وهو نور الأنوار، تجرد عن الصفات، يشق الصخور ويسجر البحور، ويدبر الأمور، ويخرب الدول، خفى الجواهر، وهو معنى . . وهو الذى خلق محمدا، وسماه «الاسم». ومحمد هو حجاب على ومسكنه. ومحمد خلق سليمان الفارسي من نور نوره، وجعله «بابا» له، والمكلف بنشر دعوته، ومن حروف بداية هذه الأسماء الثلاثة يتكون : «عين - ميم - سين». . . وهي قسَم المستجيب لدعوة النصيرية. . . وهناك خمسة أيتام (أى لا نظير لهم) هم : المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وعبدالله بن رواحة الأنصاري، وعثمان بن مظعون، وقتير بن كدانه الدوسي. وهم الصدورات الخمسة الإلهية والنجوم الخمسة الذين توجه إليهم الصلوات الخمسة اليومية<sup>(٥١)</sup>.

\* وعلى الدرب نفسه - فى الغلو التأويلي - تسير «الدروز» . . فالظاهر هو العذاب، والباطن هو الرحمة . . ولكل ناطق أساس، والأساس يؤزن ما جاء به الناطق . . وفى إحدى رسائلهم - [كتاب فيه تقسيم العلوم وإثبات الحق وكشف المكنون] - لاسماعيل ابن محمد بن حامد التميمي الداعي - ومنه مخطوط رقمه ١٤٢٣ بالمكتبة الأهلية بباريس - يقول المؤلف : «إن العلم ينقسم على خمسة أقسام : قسمان منها للدين، وقسمان منها للطبيعة، وأما القسم الخامس فهو أجلها وأعظمها قدرا، وهو القسم

(٥١) [مذاهب الإسلاميين] ج ٣ ص ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥



الحقيقي الذي هو المراد، وإليه الإشارات، ومن أجله قامت الدوا، وظهر بين أهلها مولانا الحاكم البار [أى الحاكم بأمر الله النفاظمى].

فأما العلمان المتقدمان فهما علما الدين : أحدهما علم الظاهر، والآخر علم الباطن. . . والتلقاء هم أصحاب الظاهر، وأولهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد. . . وكل واحد من هؤلاء التلقاء أتى بظاهر أقامه لأصحابه ومستحقه. وكان بين يديه أساس ووفى يكون له خليفة بعد وفاته : فكان لنوح : سام، وإبراهيم : إسماعيل، ول موسى : يوشع بن النون من بعد هارون، ولعيسى : شمعون، ولمحمد : على بن أبى طالب. . . وقام الأساس بتأويل ما أتى به الناطق، فصاروا زوجين، وبهذا بطل الكتاب «ومن كل شيء خلقنا زوجين» [الذاريات : ٤٩] «فصرب بينهم بسور له باب باطن فيه الرحمة وظاهرة من قبله العذاب» [الحديد : ١٣] فدل بأن الظاهر من قبله العذاب، وأنه وصاحبه عذاب، والباطن فيه الرحمة. . . والظاهر ليس هو المراد، فوق العلم عليه على المجاز، وكذلك الباطن ليس هو المراد، فوق العلم. أيضا - عليه على المجاز لا بالحقيقة، والمعنى لصاحبيهما، أعنى الناطق والأساس، وهما عبدان لله - جل وعز اسمه - ليس فيهما توحيد، وهما فى عصرنا هذا عبدان لمولانا الحاكم - جل ذكره - مستخدمان للكه، يعرفهما من عرفهما ويجهلهما من استغنى عن العلوم».

كما نجد فى تأويلات الدروز - بذات المرجع - «أن السموات السبع هم الأئمة المستورون. . . فأولهم سماء الدنيا : إسماعيل بن محمد. . . وسابعهم السماء السابعة : وهو قيام عبدالله بالأمر أبى المهدي. . . ثم ظهور مولانا الحاكم سبحانه بين أيديكم ظاهرا مكشوفاً وحجته - جل ذكره - ظاهرة مرئية : قد أغنى ذوى العقول بها عن البحث فيما تقدم»!! (٥٢).

هكذا بلغ الغلو الباطنى فى التأويل إلى الحد الذى تجاوز فيه نسخ الباطن للظاهر. . . فقالت الدروز بنسخ ظهور الحاكم «الأساس - الباطن» أيضا!!.

لكن هذا الغلو فى التأويل، الذى حداكى هيرمينوطيقا النص الدينى فى التراث الغربى، والذى كان كذلك الهيرمينوطيقا أثرا من آثار الغنوصية، ذات الأصول الهلينية

واليهودية، قد ظل - في حضارتنا الإسلامية - بسبب عقلانية الإسلام، ووجود الآيات القرآنية المحكمة، التي جاءت بها جميع عقائد الإسلام وقيمته وثوابت أحكامه التشريعية . . . وبسبب الحفظ الإلهي للوحي القرآني من التبديل والتغيير والتحريف . . . قد ظل هذا الغلو الباطني في التأويل - بحضارتنا الإسلامية - هامشيا، حتى أننا لا نجد بقاياه الآن إلا لدى قطاعات محدودة من «الإسماعيلية» و«النصيرية» و«الدروز».

فقط الاستشراق هو الذي سلط على هذا الغلو الباطني من أضواء دراساته أكثر مما سلط على تيارات الوسطية والاعتدال في مذاهب الإسلاميين . . . ليظهر الاستثناء باعتباره القاعدة، وليجعل من «عورات الفكر» عنوانا على أمة الإسلام!!! . . . وربما لأن هذا الغلو هو الامتداد السرطاني لحضارة المستشرقين في عالم الإسلام!!!.



## هرطقة الهيرمينوطيقا فى الدراسات الإسلامية المعاصرة

لقد رأينا - عبر صفحات هذه الدراسة - كيف سعت الهيرمينوطيقا الوضعية العلمانية الغربية، منذ عصر التنوير الأوروبي - فى القرن الثامن عشر الميلادى - كيف سعت إلى «أسنة» الدين، بإحلال الإنسان محل الله، وإحلال القارئ محل الوحي، وجعل الوحي - فى النص الدينى - هو ما نوحيه القراءة الذاتية للقارئ، وما نوحيه كينونة عالم القارئ إلى النص - بدلا من العكس - كما سعت هذه الهيرمينوطيقا إلى عزل القيم والأخلاق والأحكام الدينية عن مصدرها الإلهى (اللاهوت)، وإقامة قطيعة معرفية كبرى مع الموروث، والموروث الدينى على وجه الخصوص... حتى بلغت حد الصبغة المنكرة: «لقد مات الله!! وبذلك أحلت «الدين الطبيعى» محل «الدين الإلهى»، بغد أن جعلت الإنسان طبيعياً، وليس ذلك الربانى الذى نفع الله فيه من روحه.

وهذا التأويل الهيرمينوطيقى - الوضعى العلمانى - وإن كان قد شارك فى الغلو ذلك التأويل الغنوصى الباطنى للنص الدينى، بشقريته من محتواه... وتعميم هذا الغلو التأويلى على جميع النصوص، لا فرق عنده بين متواتر وغير متواتر، ولا بين محكم ومتشابه، ولا بين وحى وغير وحى... وذلك بدعوى «أنه لا يوجد نص لا يمكن تأويله من أجل إيجاد الواقع الخاص به»<sup>٥٣</sup>... إلا أنه - أى هذا التأويل الهيرمينوطيقى الوضعى - قد ذهب إلى عكس الاتجاه الباطنى فى التأويل... فالتأويل الباطنى يزعم أنه ينتقل بالنص من «جسده» إلى «روحه»، بينما الهيرمينوطيقا الوضعية تستقل بالنص من «روحه» إلى «جسده»، وبعبارة أدق، تستقل بالدين من الإلهية إلى «الطبيعة»، ومن الميتافيزيقا إلى الفيزيقا، ومن الوحي إلى العقل والتجربة الحسية... فعلم الكلام -

(٥٣) د. حسن حنفي [من العنيفة إلى الثورة] ج ١ ص ٣٩٧، ٣٩٨. طبعة القاهرة ١٩٨٨ م.

عندها - ليس علم الإلهيات، وإنما هو علم الإنسانية . . . والله ليس له وجود ذاتي مفارق، وصفاته ليست صفات لذاته الواجبة الوجود - وجوداً مفارقاً للطبيعة والواقع والإنسان - وإنما هو - تعالى عن هذه الهرطقات - اختراع الإنسان المُحْبَط، عندما عجز عن تحقيق ذاته الحية، العالمة، القادرة، المريدة، السميعة، البصيرة، المتكلمة، الفعالة لما تريد، فاخترع هذا الإنسان ذاتاً أضفى عليها هذه الصفات التي عجز عن تحقيقها، بسبب الإحباط الذي يعيشه . . . فإذا ما نهض هذا الإنسان، فحقق ذاته، وتغلب بهذه الصفات، طويت هذه الصفحة من صفحات العلم الإلهي - علم الكلام - وأصبحت عبارة «الإنسان الكامل» هي البديل والأدق في التعبير عن كلمة «الله»، التي تتفى مبررات وجودها حتى في اللغة !!! .

« وينص عبارات أصحاب هذا التأويل المادى العبثي، الذي يعيد في واقعنا الفكري المعاصر ما صنته الهيرمينوطيقا الوضعية الغربية مع اليهودية والنصرانية - منذ القرن الثامن عشر - يقول هؤلاء المقلدون لهذه الهيرمينوطيقا - حذوك النعل بالنعل :-

«إن الله لفظة تعبر بها عن صرخات الألم وصيحات الفرح، أي أنه تعبير أدبي أكثر منه وصفاً لواقع، وتعبر إنشائي أكثر منه وصفاً خبرياً . . . إنه لا يعبر عن معنى معين، إنه صرخة وجودية أكثر منه معنى يمكن التعبير عنه بلفظ من اللغة، أو بتصور من العقل، هو رد فعل على حالة نفسية، أو تعبير عن إحساس أكثر منه تعبيراً عن قصد أو إيصالاً لمعنى معين، فكل ما نعتقده ثم نعظمه تعويضاً عن فقد يكون في الحس الشعبي هو الله، وكل ما نصبوا إليه ولا نستطيع تحقيقه فهو أيضاً في الشهود الجماهيرية هو الله<sup>(٥٤)</sup> . . . والله باعتباره هو الوجود الواحد، أو المجرد الصوري، أو العلة الغائية، كل هذه التصورات هي في حقيقة الأمر مقولات إنسانية تعبر عن أقصى خصائص الإنسان . . . والإلهيات، في الحقيقة، وإن بدت نظرية في الله ذاتاً وصفات وأفعالاً، هي وصف للإنسان الكامل ذاتاً وصفات وأفعالاً<sup>(٥٥)</sup> . . . فالإنسان يخلق جزءاً من ذاته ويؤلهه، أي أنه يخلق المؤله على صورته ومثاله، فهو يؤول أحلامه ورغباته، ثم يشخصها ويعبدها، فالمعبود دليل على العجز، والمقدس قرينة على عدم القدرة. القادر

(٥٤) د. حسر حنفي [الثرات والتحديات] ص ١٢٨، ١٣٠ طبعة القاهرة ١٩٨٠ م

(٥٥) د. حسر حنفي [دراسات إسلامية] ص ٤٠٥، ٣٥٩ - طبعة بيروت ١٩٨٢ م



لا يعبد ولا يقدر، بل يعمل ويحقق خطته وأهدافه . . . إن اختيار باقية من الصفات المطلقة، ووضعها معاً في صورة معبود تشير إلى أن الإنسان إنما يؤله نفسه، بعد أن دفع نفسه إلى حد الإطلاق، فالذات الإلهية هي الذات الإنسانية في أكمل صورها . . . وأى دليل يكشف عن إثبات وجود الله إنما يكشف عن وعي مزيف . . . ولذلك، فإن التفكير في الله هو اغتراب، بمعنى أن الموقف الطبيعي للإنسان هو التفكير في المجتمع، وكل حديث آخر في موضوع يتجاوز المجتمع والعالم، يكون تعمية تدل على نقص في الوعي بالواقع . . . وتصور الله على أنه موجود كامل هو في الحقيقة تعبير عن رغبة، وتحقيق لمطلب . . . وليس حكماً على وجود في الخارج . . . فذات الله هي ذاتنا مدفوعة إلى الحد الأقصى . . . ذات الله المطلق هي ذاتنا نحو المطلق، ورغبتنا في تخطي الزمان وتجاوز المكان، ولكنه تخط وتجاوز على نحو خيالي، وتعويض نفسى عن التحقيق الفعلى لهذه المثل في الحياة الإنسانية» [١١١] (٥٦).

\* وبعد «أنسة» الإله، تذهب هذه الهيروميوطيقا - في تطبيقاتها على الإسلام - إلى «أنسة» الصفات الإلهية . . . فالصفات السبع هي في حقيقة الأمر صفات إنسانية خالصة، فالإنسان هو العالم، والقادر، والحي، والسميع، والبصير، والمريد، والمتكلم . . . وهذه الصفات في الإنسان ومنه على الحقيقة، وفي الله وإليه على المجاز . . .» [١١١] (٥٧).

\* وبعد تأويل الله بالإنسان، تذهب هذه الهيروميوطيقا، في التأويل العبثي إلى «أنسة» النبوة، بحيث تؤوّل النبوة، واتصال النبي بالملك والروح «بعلاقة الفكر بالواقع . . . فالنبوة التي تتحدث عن إمكانية اتصال النبي بالله، وتبليغ رسالة منه، هي في الحقيقة مبحث في الإنسان كحلقة اتصال بين الفكر والواقع» (٥٨) . . . والنبوة ليست غيبية، بل حسية تؤكد على رعاية مصالح العباد، والغيبيات اغتراب عنها، والمعارف النبوية دنيوية حسية . . .» [١١١] (٥٩).

(٥٦) [من العقيدة إلى الثورة] ج ٢ ص ٦٣٩، ٤٦، ج ١ ص ٨٨، ٨٩.

(٥٧) المرجع السابق، ج ٢ ص ٦٠٦، ٦٠٤.

(٥٨) [دراسات إسلامية] ص ٣٩٧.

(٥٩) [من العقيدة إلى الثورة] ج ٢ ص ٣٤.

« وفي تأويل مادي ووضعى آخر ، لأخذ تلامذة هذه المدرسة ، ينهى عن النبوة والوحي أى إعجاز أو مفارقة لقوانين المادة والطبيعة والواقع ، فهى - عنده - مجرد درجة قوية من درجات الخيال الناشئ عن «فاعلية المخيلة الإنسانية» ، يتصل بها النبى بالملك ، كما يتصل بها الشاعر بشيطانه ، وكما يتصل بها الكاهن بالجان . . فهى - النبوة - «حالة من حالات الفعالية الخلاقة للمخيلة الإنسانية» ، وليست «ظاهرة فوقية مفارقة للواقع وقوانينه المادية» [١١] .

والفارق بين النبى وبين الشاعر والصوفى والكاهن هو ، فقط ، فى «الدرجة» - درجة قوة المخيلة - وليس فى الكيف أو النوع .

« وعلى عكس إجماع علماء الأمة ومتكلميها وفلاسفتها على أن «لأرواح الأنبياء مددا من الجلال الإلهى لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليها سطوة روحانية» . . » [٦٠] . يقول صاحب هذا التأويل المادى للوحي والنبوة : «إن تفسير النبوة اعتماد على مفهوم «الخيال» ، معناه أن ذلك الانتقال من عالم البشر إلى عالم الملائكة انتقال يتم من خلال فاعلية «المخيلة» الإنسانية ، التى تكون فى «الأنبياء» - بحكم الاصطفاء والفطرة - أقوى منها عند سواهم من البشر . . وإذا كانت فاعلية «الخيال» عند البشر العاديين لا تنبدى إلا فى حالة النوم وسكون الحواس عن الانشغال بنقل الانطباعات من العالم الخارجى إلى الداخلى ، فإن «الأنبياء» و «الشعراء» و «العارفين» قادرون دون غيرهم على استخدام فاعلية «المخيلة» فى اليقظة والنوم على السواء .

وليس معنى ذلك التسوية بين هذه المستويات من حيث قدرة «المخيلة» وفعاليتها ، فالنبى يأتى على رأس قمة الترتيب ، يليه الصوفى العارف ، ثم يأتى الشاعر فى نهاية الترتيب . . والنبوة ، فى هذا التصور ، لا تكون ظاهرة فوقية مفارقة . . ويمكن فهم الانسلاخ أو «الانخلاع» فى ظل هذا التصور على أساس أنه تجربة خاصة ، أو حالة من حالات الفعالية الخلاقة . . وهذا كله يؤكد أن ظاهرة الوحي - القرآن - لم تكن ظاهرة مفارقة للواقع ، أو غثل وثبأ عليه ونجاوزاً لقوانينه ، بل كانت جزءاً من مفاهيم الثقافة ونابعة من موضوعاتها وتصوراتها . . » [١١] [٦١] .

(٦٠) الإمام محمد عبده [رسالة التوحيد] ص ٨١ ، دراسة وتحفيظ : د . محمد عمارة . طبعة القاهرة ١٩٩٢ م .

(٦١) د . نصر حامد أبو زيد [مفهوم النص : دراسة فى علوم القرآن] ص ٦٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٣٨ . طبعة القاهرة ١٩٩٠ م .

« وإذا كان الأمر كذلك ، فإننا لا نكون بإزاء أى إعجاز . . وإنما أمام قوة «مخيلة» ، جاءت بقرآن ، يمكن - بل يجب - تأويله تأويلات متعددة بتعدد القراء لنصه ؛ لأنه لا يتضمن معنى ثابتاً ولا خالداً . فهو - بعبارة صاحب هذا التأويل - «نص بشري» ، وخطاب تاريخي ، لا يتضمن معنى مفارقاً جوهرياً ثابتاً . . وليس ثمة عناصر جوهريّة ثابتة في النصوص ، بل لكل قراءة - بالمعنى التاريخي الاجتماعي - جوهرها الذي تكشفه في النص . . فالقرآن ، في حقيقته وجوهه ، مُتَّج ثقافي ، تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عاماً ، ومن لغته وثقافته صيغت مفاهيمه ، فالواقع أولاً ، والواقع ثانياً ، والواقع أخيراً . . » (٦٢).

« وبعد أنسنة الإله . . وأنسنة النبوة . . ونفى التنزيل والإعجاز عن القرآن والوحي . . ونفى كل خلود عن كل معاني القرآن . . تذهب هذه الهيرمينوطيقا المعاصرة إلى أنسنة عالم الغيب ، فتري في أنباء الغيب تعبيرات فنية وصوراً خيالية تعبر عن أمانى الإنسان . . «فأمور المعاد إنما تعبر ، على طريقتها الخاصة ، وبأسلوب الفن ، الذي يعتمد على الصور والخيال ، عن أمانى الإنسان في عالم يسوده العدل والقانون . . إنها تعبير عن مستقبل الإنسان في عالم أفضل . . » [١١] (٦٣).

« وحديث القرآن عن اللوح المحفوظ «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٦٦) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ» [البروج : ٢١ ، ٢٢] هو صورة فنية الغاية منها إثبات تدوين العلم ، فالعلم المدون أكثر دقة من العلم المحفوظ في الذاكرة أو المتصور في ذهن» (٦٤).

« وبعد تأليه الإنسان ، وأنسنة الله . . وأنسنة النبوة والوحي وعالم الغيب . . تذهب هذه الهيرمينوطيقا المعاصرة إلى تأليه العقل ، والاستغناء به وبالحواس عن الوحي والغيب ، فتقول : «إن العقل ليس بحاجة إلى عون ، وليس هناك ما يند عن العقل . العقل يحسن ويقبح ، وقادر على إدراك صفات الحسن والقبح في الأشياء ، كما أن الحس قادر على الإدراك والمشاهدة والتجريب . . ويمكن معرفة الأخلاق

(٦٢) د. نصير حامد أبو زيد - مجلة [القاهرة] «مشروع النهضة بين التوفيق والتلفيق» - عدد أكتوبر ١٩٩٢ م

و [نقد الخطاب الديني] ص ٨٣ ، ٢٨ ، ٩٩ - طبعة القاهرة ١٩٩٢ م

(٦٣) [دراسات إسلامية] ص ١٠٤

(٦٤) [من العقيدة إلى الثورة] جزء ص ١٣٥

بالقطرة<sup>(٦٥)</sup> . . فالوحي لا يعطى الإنسانية شيئاً لا تستطيع أن تكتشفه بنفسها من داخلها . . [١١]<sup>(٦٦)</sup> .

❖ وأخيراً، تعلن هذه الهيرمينوطيقا المعاصرة عن أن مهمتها - بعد تأليه الإنسان، وتأليه العقل الإنساني، وأنسنة الله والوحي والنبوة وعالم الغيب - تعلن أن مهمتها هي أنسنة الحضارة الإسلامية، بتحويلها عن الإلهية إلى الإنسانية . . وأنسنة الدين الإسلامي، بإحلال «الدين الطبيعي» محل «الدين الإلهي»، فتقول:

«إن مهمتنا هي أن نتقل بحضارتنا من الطور الإلهي القديم إلى طور إنساني جديد، فبدلاً من أن تكون حضارتنا متمركزة على الله . . تكون متمركزة على الإنسان . . . وتحويل قطبها من علم الله إلى علم الإنسان . . إن تقدم البشرية مرهون بتطورها من الدين إلى الفلسفة، ومن الإيمان إلى العقل، ومن مركزية الله إلى مركزية الإنسان، حتى تصل الإنسانية إلى طور الكمال، وينشأ المجتمع العقلي المستير» [١١]<sup>(٦٧)</sup> .

❖ بل لقد بلغ الغلو بأخذ تلامذة هذه المدرسة، إلى الحد الذي انتقد فيه تأويل العقائد الإسلامية في عالم الغيب تأويلاً يحولها، فقط، من الحقيقة إلى المجاز، ويجردها، بأنسنتها - فحسب - من إلهيتها، فدعى إلى إلغاء هذه العقائد كلية، أى إلغاء حتى صورتها الإنسانية، المجردة من الإلهية والغيب، فقال:

«إن هذا التأويل، الذي يحول الوحي إلى واقعة تاريخية . . وإلى الطبيعة . . وإلى خبرة بشرية، ونشاط ذهني، ويرد المشافيزيقي إلى الفيزيقي . . ويحول العلم الإلهي إلى علم إنساني . . وإن لم يخل من فائدة تتمثل فيما يحدثه من خلخلة في بنية الفكر الديني المسيطر والمستقر . . إلا أنه يكشف عن الطابع المتردد الذي يقع في «التلون» بدلاً من «التأويل» . . ويتعارض مع تاريخية الوحي . . ثم، ما الهدف والغاية من استمرار الوحي، بكل ما يرتبط به من عقائد التوحيد والبعث والجزاء، حتى بالمعنى المجازي - الوحي الطبيعي - ؟؟» [١١]<sup>(٦٨)</sup> .

(٦٥) المرجع السابق، ج ٤ ص ٨٤٨ .

(٦٦) ص تقديم د. حسن حنفي لـ [تربية الحسن النوري] - نطش - ص ١٥١ - طعة القاهرة ١٩٧٧ م .

(٦٧) دراسات إسلامية [ص ٣٠٠، ١٩٨٠] .

(٦٨) د. نصر حامد أبو زيد [نقد الخطاب الديني] ص ١٧٢، ١٧٥، ١٧٩ - من نقد د. نصر أبو زيد لأسماذ

د. حسن حنفي



فالمطلوب - في هذا التأويل العبثي - هو إلغاء عقائد التوحيد والبعث والجزاء، حتى ولو كانت مجرد فكر إنساني!! .



\* لقد سألت واحداً من الذين يتولون كِبَر هذه الدعوى... بل ويفرضونها على طلابهم في الجامعات :-

- كيف توفق بين تأويلك هذا للدين، الذي يلغى ثوابت عقائده ومبادئ شريعته ومنظومة قيمه... بل ويحكم بالموت على مصدر النص الديني المؤسس للدين [!!]... وبين رفعت للشعارات الإسلامية - حتى المثير للجدل منها - مثل «الحاكمة» - عند الشهيد سيد قطب [١٣٢٤ - ١٣٨٦ هـ ١٩٠٦ - ١٩٦٦ م]... و«عموم ولاية الفقيه» - عند آية الله الخميني [١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م]؟؟ كيف توفق بين هذه المناقضات!!؟ .

فكان جوابه :

- «إن هذه كلها «أوعية» نضع فيها «المضمون» الذي نريده!!» .



\* وفي حوار أجرى مع صاحب هذه الدعوى - نشرته مجلة «قضايا إسلامية معاصرة» - تحت عنوان : «الهيرمينوطيقا وعلوم التأويل» . قال :

«لقد قال المحدثون : مات المؤلف عاش النص . فالمؤلف عند ما كتب نصه ، نحن لا ندري ما إذا كان ما في ذهنه مطابقاً تماماً لما في العبارة ، وأن المؤلف قد انتهى ويقى النص ، فأصبح النص يتحدث بنفسه . . لأن المؤلف قد مات . .

والسؤال هو الآتي : هل هناك معنى موضوعي في النص؟ هل النص يحتوي على معان موضوعية؟... إن القارئ هو مؤلف ثان للنص ، يستطيع أن يعطي لنفسه الحرية في أن النص ما هو إلا مناسبة ما هو إلا البداية وليس النهاية .

يوجد شيء في داخل النص ، ولكن النص عندما يتحول إلى قراءة بالعين ، أو إلى سماع بالصوت ، فإنه يشير في نفس القارئ دلالات ومشاعر ، قد لا تكون متضمنة في النص موضوعياً ، ولكن موجودة في ذاتية القارئ... فلا يوجد معنى موضوعي

لنص... إن النص يتحول إلى مجرد مشجب، إلى شماعة، أو إلى مرآة، تكشف قراءات العصور في ظروفها التاريخية، وفي ظروفها الاجتماعية والسياسية، فالنص يصبح مرآة صامتة، لا تكشف عن شيء إلا إذا أتاها موضوع تعكسه، لكن النص نفسه ليس له معنى موضوعي داخلي في ذاته...

... والدين، إمام دين وحى، أو دين الطبيعة. دين الوحى هو الذى يأتى به الأنبياء، والدين الطبيعى هو الذى يكتشفه الإنسان بنفسه...

... إن النص لا يتكلم، ومؤلفه قد مات، وإن كل ما يستطيعه القارئ أو المفسر هو أن يحى النص من جديد، ليس بمدى مطابقته مع مؤلفه الأول، بل مدى مطابقته مع المفسر الثانى، فالمفسر أو المؤول هو المؤلف الثانى، والمؤلف الثانى هو المؤلف الحقيقى، وليس المؤلف الأول... فالنص أخرس، صامت. والمؤول هو الذى يجعله يتكلم... وفى التأويل لا توجد حقيقة موضوعية... ولا يوجد صواب وخطأ ككتاهما قراءة... وفى الحقيقة لا يوجد معيار للصواب والخطأ داخل النص... فكل قراءة هى اجتزاء، كل قراءة هى خيانة للكل، لأنها ترد الكل إلى أجزائه...

... وإن ما تصوره القدماء أنه من وحى الله أعيد اكتشافه على أنه من وضع الإنسان. وقد أدى ذلك إلى تغيير مفهوم الوحى والنبوة... ولقد انتهى النقاد إلى أن العقيدة لم تخرج من النص، بل إن النص خرج من العقيدة. آمن الناس أولاً، ثم دونوا إيمانهم بعد ذلك فى نصوص اعتبرت مصدر الإيمان ومنشأه... [1111]... (٦٩).



ومن المضحكات البكيات، أن صاحب هذا التأويل العشى - الذى يجعل الإنسان خالقاً لله، وليس الله هو الذى خلق الإنسان!! -

والذى يقترح حذف لفظ الجلالة حتى من اللغة... والاكتفاء بعبارة «الإنسان الكامل»! لأنها الأدق فى التعبير!!

(٦٩) حلى حلى [قضايا إسلامية معاصرة]، رت العدد التاسع عشر ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ٨٩ - ٩١.

٩٤، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٥، ٢١٨، ٢١٩

والذى يرى أن الإيمان هو الإلحاد!! لأن الفيتية قد طرأت على الدين فى عصور  
الانحطاط!! والذى يقرر موت الإله!! . . . وتفرغ الدين من الدين!! . . .

والذى يدعو لتحويل الدين إلى أيديولوجية . . . وتحويل الأيديولوجية إلى فكر  
إنسانى . . . أى «أئسنة» الدين . . . وإلغاء الغيب . . . وإحلال «الدين الطبيعى» محل  
«الدين الإلهى»!! .

أى الذى «ينقل» كل هذا «العبث الغربى» الذى صنعه الهيرمينوطيقا الغربية مع  
اليهودية والنصرانية، إلى الميدان الإسلامى . . . أى أنه مجرد «ناقل» و«مقلد»، جذوك  
النعل بالنعل . . . ولا علاقة له بأى «فقه» أو «إيداع» . . .

المضحك والمبكى أن صاحب هذا «العبث المنقول» الذى يسمى نفسه «فقيه الأمة» -  
هكذا بتعميم وتفرد وإطلاق!! . . . قد دعاه وزير الإعلام السعودى لأداء فريضة الحج  
١٤٢٦ هـ . . . ويعد تردد فى قبول الدعوة - وفق روايته المكتوبة والمنشورة - وبعد ميل إلى  
الرفض . . . «لأن المفكر لا يملك أسرعاً يقضيه فى أخج»!! . . . عاد - تحت إلحاح زوجته -  
التي قالت له: «لماذا لا تعبر أخج مثل الندوة»!! . . . فقبل الدعوة . . . ولما عاد من  
«الحج» كتب انطباعاته، ونشرها فى الصحافة، تحت عنوان: «خواطر حاج» . . . وقال  
فيها - «فقيه الأمة» هذا:-

• إنه ذهب إلى الحج دون إحرام . . .

• وأن «أكثر شعائر الحج مظهرية»!! . . .

• وأن «الكعبة توحى للتأظر بالوثنية القديمة فى العصر الجاهلى»!! . . .

• وأن حائط رمى الجمرات هو «كالتمثال فى الجاهلية»!! . . .

• وأن مناسك الحج، التى «تربط الحديد بالقديم» والمسلمين بالحنفاء، والرسول  
بإبراهيم، هى من بقايا الوثنية القديمة بعد تهذيبها!!<sup>(٧٠)</sup>

(٧٠) د. حسر حنفى - صحيفة [أخبار الأدب] - القاهرة - عدد ٦٥٤ فى ٢٢ ذى الحجة ١٤٢٦ هـ ٢٢ يناير

نعم . . . هكذا كتب «فقيه الأمة» عن الحج إلى بيت الله الحرام - الذي ذهب إليه وعاد منه دون إحرام! - ولا تسل عن الطهارة! . . .

وهكذا يكون «الفقه» عند عبيد التقليد للهير مبنوطيقا الغربية . . . الذين ينقلون عبثها بالنص الديني إلى ميدان القرآن والإسلام! . . .



❖ وإذا كانت بلوى هذا التقليد قد عمت أغلب بلاد الإسلام ، وذلك عندما حملتها رياح الغزو الفكري الذي جاء إلى بلادنا في ركاب الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة . . . فإن نماذج هذا التأويل العبثي ، الذي اجتاحت - أو حاول - مقدسات الإسلام ، والمحكم من آيات القرآن - في العقيدة والشريعة والقيم - قد امتدت وانتشرت على امتداد مجتمعات عالم الإسلام . . . بحيث يحتاج استقصاؤها إلى مجلدات . . .

ولما كنا حريصين على الإيجاز في هذه الدراسة ، حتى نحمل صورة هذا التأويل العبثي إلى أوسع جمهور من الباحثين والقراء . . . فإننا نكتفي - هنا - بإشارات - مجرد إشارات - إلى نماذج ثلاثة من هذا التأويل العبثي - غير التي سبقت الإشارات إليها . . .

١ - فواحد منهم يقول :

«إن القرآن يقول كل شيء ، دون أن يقول شيئا»! (٧١)

٢ - وثانيهم يقول :

«إن التقديس للكتب المقدسة خلُع عليها وأسدل بواسطة عدد من الشعائر والطقوس والتلاعبات الفكرية الاستدلالية . . . والظروف السياسية والاجتماعية والثقافية» (٧٢) «ولن نستطيع تجنب مشاكل التفكير الشيولوجي إذا استمر نظرنا إلى القرآن كنص ديني متعال ، يحتوي على الحقيقة التي تجعل حضور الله دائما . . .» (٧٣)

(٧١) د. طيب تيزيني [النص القرآني] ص ٢٤٣ .

(٧٢) د. محمد أركون [القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني] ص ٢٥ ، ٢٦ ترجمة هاشم صالح . طبعة بيروت ٢٠٠١م

(٧٣) د. محمد أركون [الإسلام والتاريخ والحداثة] ص ٢٥ . مجلة [الوحدة] - الرباط - عدد ١٩٨٩م - ترجمة هاشم صالح .



«ولا بد من النظر إلى القرآن ليس على أنه كلام آت من فوق، وإنما على أنه حدث واقعي تماماً كوقائع الفيزياء والبيولوجيا.!!» (٧٤).

٣- أما ثالثهم فيقول:

«إن التأويل يطمح إلى التفكيك الذي يقطع الصلة بين النص وقائله وبين المعنى واحتمالاته!!» (٧٥).

«وإن مهمة القارئ الناقد أن لا يؤخذ بما يقوله النص... مهمته أن يتحرر من سلطة النص لكي يقرأ ما لا يقوله، فالتص يحتاج إلى عين ترى فيه ما لم يره المؤلف وما لم يخطر له...!!» (٧٦).

«ولا بد للتقدم والنهضة من خلخلة القناعات وزحزحة المعتقدات!!» (٧٧).

«ويجب أن نصل إلى المستوى الذي بلغه المعري [٣٦٣ - ٤٤٩ هـ - ٩٧٣ - ١٠٥٧ م] حين قال:

ولا تحسب مقال الرسل حفا  
وكان الناس في عيش رغيد  
ولكن فــــول زور سطره  
فجاءوا بالمحال فكدروه!!» (٧٨).

«إن القرآن يرمخ الأدلجة والأسطرة والتقديس... والنصوص جميعاً سواء في ممارسة الحجب والمخاتلة والألاعيب والمراوغة!!» (٧٩).

«ولا بد من نزع هالة القداسة عن الوحي بتعرية آليات الأسطورة والتعالى والتقديس التي يمارسها الخطاب القرآني!!» (٨٠).

(٧٤) د. محمد أركون [تاريخية الفكر العربي الإسلامي] ص ٢٨٤، مجلة هشام ص ٤٠.

(٧٥) د. علي حرب [المشروع والمنتج في نقد الذات الفكرية] ص ٢٢ طبعة بيروت ١٩٩٥ م.

(٧٦) د. علي حرب [نقد النص] ص ٢٢ طبعة بيروت ١٩٩٣ م.

(٧٧) المرجع السابق ص ٧٢، ١٤٣.

(٧٨) المرجع السابق ص ١٩٠.

(٧٩) المرجع السابق ص ١٧.

(٨٠) المرجع السابق ص ٢٠٣ و [المشروع والمنتج في نقد الذات الفكرية] ص ١٢٠.

.. وذلك لتحقيق مرجعية العقل وحاكميته .. وإحلال سيادة الإنسان وسيطرته على الطبيعة مكان إمبريالية الذات الإلهية وهيمتها على الكون ..!!!!<sup>(٨١)</sup>.



هكذا .. ومن خلال هذه السطور المعبرة عن مقاصد أصحاب هذا التقليد الجامد والأعمى للهيرمينوطيقا الغربية، ظهر جلياً أن معركتهم الكبرى والحقيقية إنما هي ضد الذات الإلهية .. والوحي .. والنبوات والرسالات .. والعقائد والمقدسات .. والشرائع والقيم والأخلاق .. أى ضد كل الذى حقق ويحقق تماسك المجتمعات المؤمنة، وتوجيهها إلى ما يحقق الطمأنينة والسعادة فى المعاش والمعاد ..

فالإمبريالية عند أصحاب هذا التأويل العبثى هي «إمبريالية الذات الإلهية»!! .. وليست الإمبريالية الغربية المتوحشة، التى جاءتنا بالنهب الاستعمارى .. وبهذا التأويل العبثى لمقومات صمودنا ومقاومتنا .. هذا التأويل الذى يشر به هؤلاء الذين مثلوا ويمثلون الامتدادات السرطانية للغزو الفكرى الغربى فى عالم الإسلام.



(٨١) د. على حرب - صحيفة [الخبايا] - لندن ١٨ - ١٩ - ١٩٩٦ م - مقال «مسيرة التقدم والحدانة بين أنصاف زيتون وأنصار أركون».

## وبعد

فهيكذا كشفت هذه الهيرمينوطيقا المعاصرة، التي مثلت استعارة الهيرمينوطيقا الغربية لتطبيقها على الإسلام، والله، والوحي، والغيب، والنبوة. . هكذا كشفت عن الوجه القبيح للغلو العبيثي في التأويل. . الذي يريد تأليه الإنسان، وأنسنة الله، والدين، والوحي، والنبوة، والغيب، والحضارة. . وإعلان صوت الإله، دونما أي فارق. في هذه الهيرمينوطيقا - بين تطبيقاتها «الإسلامية» هذه وبين أصولها الغربية، التي أدت إلى هزيمة النصرانية الغربية، وتحويل أوروبا إلى فراغ ديبى، فشلت العلمانية في ملئها، عندما عجّزت عن الإجابة على أسئلة الإنسان التي كان يحجب عنها الدين. بل إن هذه الهيرمينوطيقا المعاصرة تعلن «أن العلمانية هي أساس الوحي. . وأن الإلحاد هو المعنى الأصلي للإيمان»!!<sup>(٨٢)</sup>

وهو مستوى عثى لا يحتاج إلى تعليق. اللهم إلا التذكير بعبارة حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، التي علق بها على التأويلات التي تخرج ذات الله وصفاته عن الوجود الحقيقي. فقال: «إن من ينكر نصاً متواتراً، ويزعم أنه مؤوّل، ولكن ذكر تأويله لا انقذاح له أصلاً في اللسان - [اللغة] - لا على بُعد ولا على قُرب، فذلك كفر، وصاحبه مكذّب، وإن كان يزعم أنه مؤوّل. مثاله ما رأيته في كلام بعض الباطنية أن الله تعالى واحد، بمعنى أنه يعطى الوحدة ويخلقها، وعالم، بمعنى أنه يعطى العلم لغيره ويخلقها، وموجود، بمعنى أنه يوجد غيره، وأما أن يكون واحداً في نفسه وموجوداً وعالمًا على معنى اتصافه فلا. وهذا كفر صراح، لأن حمل الوحدة على إيجاد الوحدة ليس من التأويل في شيء، ولا تحتمله لغة العرب أصلاً، ولو كان خالق الوحدة يسمى

(٨٢) د. حسن حنفي [التراث والتجديد] ص ٦٩، ٦٧.

واحدًا خلّقه الوحدة، لسمى ثلاثًا وأربعًا لأنه خلق الأعداد أيضًا، فأمثلة هذه المقالات تكذّيبات عبّر عنها بالتأويلات. . .<sup>(١٣)</sup> - هكذا قال أبو حامد الغزالي .

وإذا كان أصحاب هذا «التأويل العبشي» يسيئون الظن بحجة الإسلام الغزالي . . . ويزعمون أنه كان «رجعيًا»، مثل «جناية» على الفلسفة والعقلانية . . . بينما يدّعون أن ابن رشد كان قمة الفلسفة والعقلانية - بل ونهايتهما في تاريخنا الحضاري !! - فإننا نقدم إليهم رأي ابن رشد في «تأويلهم العبشي»، والذي ذهب فيه أبعد مما ذهب أبو حامد، حيث دعا - ابن رشد - إلى قتلهم كزنادقة !! . . . فقال - فيما سبق إirاده - : «يجب على كل إنسان أن يسلم مبادئ الشريعة وأن يقلّد فيها، فإن جحدّها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الإنسان، ولذلك وجب قتل الزنادقة. فالذي يجب أن يقال فيها: إن مبادئها أمور إلهية تفوق العقول الإنسانية، فلا بد أن يعترف بها مع جهل أسبابها. . . ولذلك لا نحمد أحدًا من القدماء» [الفلاسفة] - نكلم في المعجزات، مع انتشارها وظهورها في العالم؛ لأنها مبادئ تثبت الشرائع، والشرائع مبادئ الفضائل، ولا فيما يقال بعد الموت. . . فالتأويل لظواهر أصول الشرع كافر. . .»

هكذا أجمعت تيارات الفكر ومذاهب الفلسفة في حضارتنا على رفض هذا «التأويل العبشي»، الذي عرفته «الهيرمينوطيقا» الغربية - والذي مثل جناية عظيمة وطامة كبرى على النص . . . وعلى النص الديني على وجه الخصوص . . .

وهكذا صاغت حضارتنا نموذجها «العلمي» في قراءة النصوص . . . وفي التأويل، فقدّمت قسمة من قسّمات التمايز الحضاري، التي ميزتها عن الحضارات والفلسفات التي سقطت في مستنقع الغلو . . . سواء أكان غلوًا ماديًا . . . أو غلوًا باطنيًا . . . !



(١٣) [يفصل التفرقة بين الإسلام والزنادقة] ص ١٧



## هذا...

ولمزيد من الاطلاع على نماذج أخرى لتطبيقات هذا «التأويل العبثي»، الذى يحتاج مقدسات الأديان - كل الأديان - . . . ويبدد ويدمر الاعتقاد الإسلامى . . . ويجرد الأمة - إبان صراعها مع «الصلبية - الصهيونية» - من أسلحتها، المتمثلة فى ثوابت هويتها:

• لمزيد من الاطلاع على تطبيقات هذا «التأويل العبثي» . . . يمكن الرجوع إلى كتبنا:

١ - [ سقوط الغلو العلمانى ] - طبعة دار الشروق . . .

٢ - [ التفسير الماركسى للإسلام ] - طبعة دار الشروق . . .

٣ - [ الإسلام بين التنوير والتزوير ] - طبعة دار الشروق . . .

٤ - [ مستقبلنا بين التجديد الإسلامى والحدائث الغربية ] - طبعة مكتبة الشروق الدولية . . .

• وكذلك الاطلاع على كتب:

٥ - [ فلسفة المشروع الحضارى ] للدكتور أحمد جاد - طبعة المعهد العالى للفكر الإسلامى .

٦ - [ موقف العلمانيين العرب من النص الدينى ] للدكتور أحمد إدريس انطعان - رسالة دكتوراه - من قسم الفلسفة - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - تحت الطبع .



ولعلنا فى طبعة قادمة من هذا الكتاب - إن شاء الله - نقدم المزيد من التطبيقات لهذا «التأويل العبثي»، الذى يشيعه «القراضة المعاصرون» - تلامذة الهيرمينوطيقا الغربية فى بلاد الإسلام!

## المصادر والمراجع

- ابن رشد - أبو الوليد - : (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال). دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة ١٩٩٩م.
- : (مناهج الأدلة في عقائد الملة). دراسة وتحقيق: د. محمود قاسم. طبعة مكتبة الأنجلو - القاهرة. بدون تاريخ.
- الأفغانى - جمال الدين - : (الأعمال الكاملة). دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة بيروت ١٩٧٩م.
- بول ريكور: (من النص إلى الفعل: أبحاث التأويل) - ترجمة: محمد يرادة، حسان بورقية. طبعة القاهرة ٢٠٠١م.
- البيضاوى: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) طبعة القاهرة ١٩٢٦م.
- التهانوى: - (كشف اصطلاحات الفنون). طبعة الهند ١٨٩٢م.
- الجرجاني - الشريف - : (التعريفات) طبعة القاهرة ١٩٣٨م.
- الجرجاني - عبد القاهر - : (دلائل الإعجاز). تحقيق: محمود محمد شاكر. طبعة القاهرة ٢٠٠٠م.
- د. حسن حنفي: (من العقيدة إلى الثورة). طبعة القاهرة ١٩٨٨م.
- : (التراث والتجديد). طبعة القاهرة ١٩٨٠م.
- : مجلة «قضايا إسلامية معاصرة» العدد ١٩ / ٢٠٠٢م.
- : (دراسات إسلامية). طبعة بيروت ١٩٨٢م.
- : «مقدمة» كتاب لسنج (تربية الجنس البشرى) طبعة القاهرة ١٩٧٧م.
- الراغب الأصفهاني: (المفردات في غريب القرآن) طبعة القاهرة ١٩٩١م.
- زلمان شازار - محرر - : (تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث). ترجمة: د. أحمد محمد هويدي. مراجعة: د. محمد خليفة حسن. طبعة القاهرة ٢٠٠٠م.

- الزمخشري : (الكشاف) طبعة طهران .
- سيزا قاسم : (القارئ والنص : العلامة والدلالة) . طبعة القاهرة ٢٠٠٢ م .
- د. طيب تيزيني : (النص والقرآن) .
- عبد الجبار بن أحمد - قاضى القضاة - : (المغنى فى أبواب التوحيد والعدل) ج ١٦ . تحقيق : أمين الخولى ، طبعة القاهرة ١٩٦٠ م .
- د. عبد الرحمن بدوى : (مذاهب الإسلاميين) طبعة بيروت ١٩٧٣ م .
- د. على حرب : (الممنوع والممنوع) طبعة بيروت ١٩٩٥ م .
- : (نقد النص) ، طبعة بيروت ١٩٩٣ م .
- الغزالي - أبو حامد - : (فصل النفرقة بين الإسلام والزندقة) طبعة القاهرة ١٩٠٧ م .
- : (المستصفى من أصول الفقه) طبعة القاهرة ١٣٢٢ هـ .
- القرطبي : (الجامع لأحكام القرآن) طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة .
- القشيري : (لطائف الإشارات) . تحقيق : د. إبراهيم بسيوني ، طبعة القاهرة ٢٠٠٠ م .
- الكفوى - أبو البقاء - : (الكليات) . تحقيق : د. عدنان درويش ، محمد المصرى . طبعة دمشق ١٩٨٢ م .
- مجمع اللغة العربية - القاهرة - : (المعجم الفلسفى) طبعة القاهرة ١٩٧٩ م .
- د. محمد أركون : (القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الدينى) ترجمة : هاشم صالح . طبعة بيروت ٢٠٠١ م .
- : (الإسلام والتاريخ والحدائق) ترجمة هاشم صالح . مجلة (الوحدة) - الرباط - ١٩٨٩ م .
- : (تاريخية الفكر العربى الإسلامى) ترجمة : هاشم صالح .
- محمد رشيد رضا : مجلة (المنار) .
- محمد الطاهر بن عاشور : (التحرير والتوير) طبعة الشركة التونسية للنشر والتوزيع ، تونس .
- محمد عبده - الأستاذ الإمام - : (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) ، دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة . طبعة القاهرة ١٩٩٣ م .
- : (رسالة التوحيد) ، دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة . طبعة القاهرة ١٩٩٤ م .

- د. محمد عمارة: (التوسيط في المذاهب والمصطلحات). طبعة القاهرة ١٩٩٩ م.
- محمد غازي عرايبي: (التصوص في مصطلحات الصوفية). طبعة دمشق ١٩٨٥ م.
- د. مراد وهبة - وآخران: (المعجم الفلسفي) طبعة القاهرة ١٩٧١ م.
- د. نصر حامد أبو زيد: (مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن) طبعة القاهرة ١٩٩٠ م.
- :(نقد الخطاب الديني). طبعة القاهرة ١٩٩٢ م.
- :[مجلة (القاهرة) - عدد أكتوبر ١٩٩٢ م.
- وزارة الأوقاف الكويتية: (الموسوعة الفقهية). طبعة الكويت ١٩٨٧ م.

\*\*\*



## • الدكتور محمد عمارة •

### ١- سيرة ذاتية .. فى نقاط

• مفكر إسلامي .. ومؤلف .. ومحقق .. وعضو «مجمع البحوث الإسلامية» بالأزهر الشريف .

• ولد بريف مصر ، ببلدة «صووه» ، مركز «قلين» ، محافظة «كفر الشيخ» . فى ٢٧ من رجب سنة ١٣٥٠ هـ - ٨ من ديسمبر سنة ١٩٣١ م . فى أسرة ميسورة الحال . مادياً . تحترف الزراعة .. وملتزمة دينياً .

• قبل مولده ، كان والده قد نذر لله : إذا جاء المولود ذكراً ، أن يسميه محمداً ، وأن يهبه للعلم الدينى . أى يطلب العلم فى الأزهر الشريف .

• حفظ القرآن وجوّده بـ «كتاب» القرية .. مع تلقى العلوم المدنية الأولية بمدرسة القرية . مرحلة التعليم الإزامى .

• فى سنة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م التحق «بمعهد مسوق الدينى الابتدائى» . التابع للجامع الأزهر الشريف .. ومنه حصل على شهادة الابتدائية سنة ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م .

• وفى المرحلة الابتدائية . النصف الثانى من أربعينيات القرن العشرين . بدأت تتفتح وتنمو اهتماماته الوطنية والعربية والإسلامية ، والأدبية والثقافية .. فشارك فى العمل الوطنى - قضية استقلال مصر .. والقضية الفلسطينية - بالخطابة فى المساجد .. والكتابة - نثراً وشعراً . وكان أول مقال نشرته له صحيفة «مصر الفتاة» . بعنوان «جهاد» - عن فلسطين - فى أبريل سنة ١٩٤٨ م - وتطوع للتدريب على حمل السلاح ضمن حركة مناصرة القضية الفلسطينية .. لكن لم يكن له شرف الذهاب إلى فلسطين .

• فى سنة ١٩٤٩ م ، التحق «بمعهد طنطا الأحمدى الدينى الثانوى» - التابع للجامع الأزهر الشريف - ومنه حصل على الثانوية الأزهرية سنة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .

• وواصل - فى مرحلة الدراسة الثانوية - اهتماماته السياسية والأدبية والثقافية .. ونشر شعراً

ونشر في صحف ومجلات «مصر الفتاة»، و«منبر الشرق»، و«المصري»، و«الكاتب» . .  
وتطوع للتدريب على السلاح بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦م في سنة ١٩٥١م .

❖ في سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م التحق بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة . . وفيها تخرج ،  
ونال درجة «الليسانس» في اللغة العربية والعلوم الإسلامية . ولقد تأخر تخرجه بسبب  
نشاطه السياسي . إلى سنة ١٩٦٥ بدلاً من سنة ١٩٥٨م .

❖ تواصل - في مرحلة الدراسة الجامعية - نشاطه الوطني والأدبي والثقافي . . فشارك في  
«المقاومة الشعبية» ، بمنطقة قناة السويس ، إبان مقاومة الغزو الثلاثي لمصر سنة ١٣٧٥هـ ،  
١٩٥٦م . .

❖ ونشر المقالات في صحيفة «المساء» - المصرية - ومجلة «الأداب» . . البيروتية . . وألف ونشر  
أول كتبه عن «القومية العربية» ، سنة ١٩٥٨م .

❖ وبعد التخرج من الجامعة ، أعطى كل وقته - تقريباً - وجميع جهده لمشروعه الفكري ، فجمع  
وحقق ودرس الأعمال الكاملة لأبرز أعلام اليقظة الإسلامية الحديثة : رفاعة رافع  
الطهطاوي . . وجمال الدين الأفغاني . . ومحمد عبده . . وعبد الرحمن الكواكبي . .  
وعلى مبارك . . وقاسم أمين . . وكثب الكتب والدراسات عن أعلام التجدد  
الإسلامي . . مثل : الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا . . والشيخ محمد الغزالي . .  
وعمر مكرم . . ومصطفى كامل . . وخير الدين التونسي . . ورشيد رضا . . وعبد الحميد  
ابن باديس . . ومحمد الخضر حسين . . وأبي الأعلى المودودي . . وحسن البنا . . وسيد  
قطب . . والشيخ محمود شلتوت . . إلخ .

❖ ومن أعلام الصحابة الذين كتب عنهم : عمر بن الخطاب . . وعلي بن أبي طالب . . وأبو  
ذر الغفاري . . وأسماء بنت أبي بكر . . كما كتب عن تيارات الفكر الإسلامي - القديمة  
والحديثة - وعن أعلام التراث الإسلامي ، مثل : غيلان الدمشقي . . والحسن البصري . .  
وعمر بن عبيد . . والنفس الزكية : محمد بن الحسن . . وعلي بن محمد . .  
والماوردي . . وابن رشد (الحفيد) . . والعز بن عبد السلام . . إلخ . .

❖ وتناولت كتبه - التي تجاوزت المائة والثمانين - السمات المميزة للحضارة الإسلامية ،  
والمشروع الحضاري الإسلامي . . والمواجهة مع الحضارات الغازية والمعادية . . وتيارات  
العلمنة والتغريب . . وصنحات العدل الاجتماعي الإسلامي . . والعقلانية الإسلامية . .

❖ وحاور وناظر العديد من أصحاب المشاريع الفكرية الوافدة . .

- ✽ وحقق عدداً من نصوص التراث الإسلامي - القديم منه والحديث . . .
- ✽ وكجزء من عمله العلمي ومشروعه الفكري، حصل - من كلية دار العلوم - في العلوم الإسلامية - تخصص الفلسفة الإسلامية - على الماجستير سنة ١٣٩٠هـ / سنة ١٩٧٠م .
- ✽ بأطروحة عن «المتنزة ومشكلة الحرية الإنسانية» . . وعلى الدكتوراه سنة ١٣٩٥هـ / سنة ١٩٧٥م ، بأطروحة عن «الإسلام وفلسفة الحكم» .
- ✽ أسهم في تحرير العديد من الدوريات الفكرية المتخصصة . . وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية في وطن العروة وعالم الإسلام وخارجهما . . كما أسهم في تحرير العديد من الموسوعات السياسية والحضارية والعامّة، مثل : «موسوعة السياسة» ، و«موسوعة الحضارة العربية» ، و«موسوعة الشروق» ، و«موسوعة المفاهيم الإسلامية» ، و«الموسوعة الإسلامية العامة» ، و«موسوعة الأعلام» . . إلخ .
- ✽ نال عضوية عدد من المؤسسات العلمية والفكرية والبحثية، منها : «المجلس الأعلى - للشئون الإسلامية» - بمصر ، و«المعهد العالمي للفكر الإسلامي» - يواشنطن ، و«مركز الدراسات الحضارية» - بمصر ، و«المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية» - مؤسسة آل البيت - بالأردن . . و«مجمع البحوث الإسلامية» بالأزهر الشريف . .
- ✽ حصل على عدد من الجوائز والأوسمة . . والشهادات التقديرية . . والدروع . . منها : «جائزة جمعية أصدقاء الكتاب» - بلبنان - سنة ١٩٧٢م . . وجائزة الدولة التشجيعية - بمصر - سنة ١٩٧٦م . . ووسام العلوم والفنون . . من الطبقة الأولى - بمصر - سنة ١٩٧٦م . . وجائزة علي وعثمان حافظ - لفكر العام - سنة ١٩٩٣م . . وجائزة المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية . . سنة ١٩٩٧م . . ووسام التيار القومي الإسلامي - للفائز المؤسس - سنة ١٩٩٨م . . وجائزة مؤسسة أحمد كاتو - للدراسات الإسلامية - بالبحرين سنة ٢٠٠٥م .
- ✽ تجاوزت أعماله الفكرية - تأليفًا وتحقيقًا - مائة وثمانين كتابًا، وذلك غير ما نشر له في الصحف والمجلات . .
- ✽ ترجم العديد من كتبه إلى العديد من اللغات الشرقية والغربية . . مثل : التركية، والمالوية، والفارسية، والأوردية، والإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والإسبانية، والألمانية، والألبانية، والبوسنية .
- ✽ الاسم - رباعياً : محمد عمارة مصطفى عمارة . .

✽ والعنوان: جمهورية مصر العربية - ١٣ ب شارع كورنيش النيل - أغاخان - القاهرة - هاتف ٢٠٥٥٦٦١ - فاكس ٢٠٥٥٦٦٢ .



## ٢- ثبت بأعماله الفكرية:

### أ- تأليف:

- ١ - معالم المنهج الإسلامى - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م .
- ٢ - الإسلام والمستقبل - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م .
- ٣ - نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م .
- ٤ - معارك العرب ضد الغزاة - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٨ م .
- ٥ - الغارة الجديدة على الإسلام - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٨ م .
- ٦ - جمال الدين الأفغانى بين حقائق التاريخ وأكاذيب لويس عوض - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م .
- ٧ - الشيخ محمد الغزالي : الموقع الفكرى والمعارك الفكرية - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٨ م .
- ٨ - الوعى بالتاريخ وصناعة التاريخ - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م .
- ٩ - التراث والمستقبل - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م .
- ١٠ - الإسلام والتعددية : التنوع والاختلاف فى إطار الوحدة - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م .
- ١١ - الإبداع الفكرى والخصوصية الحضارية - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م .
- ١٢ - الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا : إسلامية الدولة والمدنية والقانون - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٩ م .
- ١٣ - الإسلام والسياسة : الرد على شبهات العلمانيين - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧ م . وطبعة مركز الراية - جدة - سنة ٢٠٠٤ م .
- ١٤ - الإسلام وفلسفة الحكم - دار الشروق - سنة ٢٠٠٦ م .
- ١٥ - معركة الإسلام وأصول الحكم - دار الشروق - سنة ١٩٩٧ م .



- ١٦ - الإسلام والفنون الجميلة - دار الشروق - سنة ٢٠٠٥ م.
- ١٧ - الإسلام وحقوق الإنسان - دار الشروق - سنة ١٩٨٩ م. وطبعة مركز الـراية - جلد١ - سنة ٢٠٠٤ م.
- ١٨ - الإسلام والثورة - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م.
- ١٩ - الإسلام والعروبة - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م.
- ٢٠ - الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م.
- ٢١ - هل الإسلام هو الحل؟ لماذا؟ وكيف؟ - دار الشروق - سنة ١٩٩٩ م.
- ٢٢ - سقوط الغلو العلماني - دار الشروق - سنة ٢٠٠٢ م.
- ٢٣ - الغزو الفكرى وهم أم حقيقة؟ - دار الشروق - سنة ١٩٩٧ م.
- ٢٤ - الطريق إلى اليقظة الإسلامية - دار الشروق - سنة ١٩٩٠ م.
- ٢٥ - تيارات الفكر الإسلامى - دار الشروق - سنة ١٩٩٧ م.
- ٢٦ - الصحوة الإسلامية والتحدى الحضارى - دار الشروق - سنة ١٩٩٧ م.
- ٢٧ - المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م.
- ٢٨ - عندما أصبحت مصر عربية إسلامية - دار الشروق - سنة ١٩٩٧ م.
- ٢٩ - العرب والتحدى - دار الشروق - سنة ١٩٩١ م.
- ٣٠ - مسلمون توار - دار الشروق - سنة ٢٠٠٦ م.
- ٣١ - التفسير الماركسى للإسلام - دار الشروق - سنة ٢٠٠٢ م.
- ٣٢ - الإسلام بين التنوير والتزوير - دار الشروق - سنة ٢٠٠٢ م.
- ٣٣ - التيار القومى الإسلامى - دار الشروق - سنة ١٩٩٦ م.
- ٣٤ - الإسلام والأمن الاجتماعى - دار الشروق - سنة ١٩٩٨ م.
- ٣٥ - الأصولية بين الغرب والإسلام - دار الشروق - سنة ١٩٩٨ م.
- ٣٦ - الجامعة الإسلامية والفكرة القومية - دار الشروق - سنة ١٩٩٤ م.
- ٣٧ - قاموس المصطلحات الاقتصادية فى الحضارة الإسلامية - دار الشروق - سنة ١٩٩٣ م.

- ٣٨ - عمرو بن عبد العزيز - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م .
- ٣٩ - جمال الدين الأفغانى : موقظ الشرق - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م .
- ٤٠ - محمد عبده : تجديد الدنيا بتجديد الدين - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م .
- ٤١ - عبد الرحمن الكواكبي - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م .
- ٤٢ - أبو الأعلى المودودي - دار الشروق - سنة ١٩٨٧ م .
- ٤٣ - رفاعة الطهطاوى - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م .
- ٤٤ - على مبارك - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م .
- ٤٥ - قاسم أمين - دار الشروق - سنة ١٩٨٨ م .
- ٤٦ - التحرير الإسلامى للمرأة - دار الشروق - سنة ٢٠٠٢ م .
- ٤٧ - الإسلام فى عبون غربية - دار الشروق - سنة ٢٠٠٤ م .
- ٤٨ - الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية - دار الشروق - سنة ٢٠٠٢ م .
- ٤٩ - فى فقه الصراع على القدس وفلسطين - دار الشروق - سنة ٢٠٠٥ م .
- ٥٠ - معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام - نهضة مصر - القاهرة - سنة ٢٠٠٦ م .
- ٥١ - الإسلام وتحديات العصر - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٤ م .
- ٥٢ - الإسلام فى مواجهة التحديات - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٦ م .
- ٥٣ - القدس الشريف رمز الصراع وبوابة الانتصار - نهضة مصر - القاهرة - سنة ٢٠٠٦ م .
- ٥٤ - هذا إسلامنا : خلاصات الأفكار - دار الوفاء - سنة ٢٠٠٠ م .
- ٥٥ - الصحوة الإسلامية فى عبون غربية - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م .
- ٥٦ - الغرب والإسلام - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م .
- ٥٧ - أبو حيان التوحيدى - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م .
- ٥٨ - ابن رشد بين الغرب والإسلام - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م .
- ٥٩ - الانتماء الثقافى - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م .

- ٦٠ - التعددية : الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م.
- ٦١ - صراع القيم بين الغرب والإسلام - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م.
- ٦٢ - الدكتور يوسف القرضاوى : المدرسة الفكرية والمشروع الفكرى - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م.
- ٦٣ - عندما دخلت مصر فى دين الله - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م.
- ٦٤ - الحركات الإسلامية : رؤية نقدية - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٦٥ - المنهج العقلى فى دراسات العربية - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م.
- ٦٦ - النموذج الثقافى - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٦٧ - تجديد الدنيا بتجديد الدين - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٦٨ - الثوابت والمتغيرات فى فكر البقطة الإسلامية الحديثة - نهضة مصر - سنة ١٩٩٧ م.
- ٦٩ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٧٠ - التقدم والإصلاح : بالتنوير الغربى أم بالتجديد الإسلامى ؟ - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٧١ - الحملة الفرنسية فى الميراث - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٧٢ - الحضارات العالمية : تدافع أم صراع ؟ - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٧٣ - إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٧٤ - القدس بين اليهودية والإسلام - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م.
- ٧٥ - الأقليات الدينية والقومية : تنوع ووحدنة أم تفتيت واختراق ؟ - نهضة مصر - سنة ١٩٩٨ م.
- ٧٦ - السنة النبوية والمعرفة الإنسانية - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٠ م.
- ٧٧ - خطر العولمة على الهوية الثقافية - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م.
- ٧٨ - مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٠ م.
- ٧٩ - فى التحرير الإسلامى للمرأة - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٣ م.

- ٨٠- المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية - نهضة مصر - ٢٠٠٣ م.
- ٨١- الغرب والإسلام : افتراءات لها تاريخ - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٦ م.
- ٨٢- الساحة الإسلامية - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٦ م.
- ٨٣- الشيخ عبدالرحمن النكراكي : هل كان علمانيا؟ - نهضة مصر - ٢٠٠٦ م.
- ٨٤- أزمة الفكر الإسلامي الحديث - نهضة مصر - ٢٠٠٦ م.
- ٨٥- هل المسلمون أمة واحدة؟ - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م.
- ٨٦- الغناء والموسيقى : حلال أم حرام؟ - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م.
- ٨٧- شبهات حول القرآن الكريم - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٣ م.
- ٨٨- تحليل الواقع بمنهاج العاهات المزمرة - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م.
- ٨٩- الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٠ م.
- ٩٠- الظاهرة الإسلامية - المختار الإسلامي - سنة ١٩٩٨ م.
- ٩١- الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٦ م.
- ٩٢- إسلاميات السهري باشا - دار الوفاء - سنة ٢٠٠٦ م.
- ٩٣- النص الإسلامي بين الاجتهاد والجمود والتاريخية - دار الفكر - دمشق - سنة ١٩٩٨ م.
- ٩٤- أزمة الفكر الإسلامي الحديث - دار الفكر - دمشق - سنة ١٩٩٨ م.
- ٩٥- المثالية والمثالية في فلسفة ابن رشد - دار المعارف - سنة ١٩٨٣ م.
- ٩٦- العطاء الحضاري للإسلام - مكتبة الشروق الدولية - سنة ٢٠٠٤ م.
- ٩٧- إسلامية المعرفة ماذا تعني؟ - دار المعارف - سنة ١٩٩٩ م.
- ٩٨- الإسلام وضرورة التغيير - دار المعارف - سنة ٢٠٠١ م.
- ٩٩- الإسلام والحرب الدينية - مكتبة الشروق الدولية - سنة ٢٠٠٤ م.
- ١٠٠- ثورة الربيع - دار الوحدة - سنة ١٩٨٠ م.
- ١٠١- دراسات في الوعي بالتاريخ - دار الوحدة - سنة ١٩٨٠ م.



- ١٠٢ - الإسلام والوحدة القومية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - سنة ١٩٧٩ م.
- ١٠٣ - الإسلام والسلطة الدينية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - سنة ١٩٨٠ م.
- ١٠٤ - الإسلام بين العلمانية والسلطة الدينية - دار ثابت - القاهرة - سنة ١٩٨٢ م.
- ١٠٥ - فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين - دار الوفاء - القاهرة - سنة ١٩٩٥ م.
- ١٠٦ - سلامة موسى : اجتهد خاطئ أم عمالة حضارية ؟ - دار الوفاء - سنة ١٩٩٥ م.
- ١٠٧ - العالم الإسلامي والمتغيرات الدولية - دار الوفاء - سنة ١٩٩٧ م.
- ١٠٨ - علمنا : حضارة أم حضارات ؟ - دار الوفاء - سنة ١٩٩٧ م.
- ١٠٩ - الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين - دار الوفاء - سنة ١٩٩٧ م.
- ١١٠ - العلمانية بين الغرب والإسلام - دار الوفاء - سنة ١٩٩٦ م.
- ١١١ - محمد عبده : سيرته وأعماله - دار القدس - بيروت - سنة ١٩٧٨ م.
- ١١٢ - نظرة جديدة إلى التراث - دار قتيبة - دمشق - سنة ١٩٨٨ م.
- ١١٣ - القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب - دار الفكر - القاهرة - سنة ١٩٥٨ م.
- ١١٤ - الفكر القائل للثورة الإيرانية - دار ثابت - القاهرة - سنة ١٩٨٢ م.
- ١١٥ - ظاهرة القومية في الحضارة العربية - الكويت - سنة ١٩٨٣ م.
- ١١٦ - رحلة في عالم الدكتور محمد عمارة - حوار - دار الكتاب الحديث - بيروت - سنة ١٩٨٩ م.
- ١١٧ - نظرية الخلافة الإسلامية - دار الثقافة الجديدة - القاهرة - سنة ١٩٨٠ م.
- ١١٨ - العدل الاجتماعي لعمر بن الخطاب - دار الثقافة الجديدة - سنة ١٩٧٨ م.
- ١١٩ - الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب - دار الثقافة الجديدة - سنة ١٩٧٨ م.
- ١٢٠ - إسرائيل هل هي سامية ؟ - دار الكاتب العربي - القاهرة - سنة ١٩٦٨ م.
- ١٢١ - الإسلام وأصول الحكم : دراسات ووثائق - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - سنة ١٩٨٥ م.

- ١٢٢ - الدين والدولة - الهيئة العامة للكتاب - سنة ١٩٩٧ م .
- ١٢٣ - الاستقلال الحضارى - الهيئة العامة للكتاب - سنة ١٩٩٣ م .
- ١٢٤ - الإسلام وقضايا العصر - دار الوحدة - بيروت - سنة ١٩٨٤ م .
- ١٢٥ - الإسلام والعروبة والعلمانية - دار الوحدة - سنة ١٩٨١ م .
- ١٢٦ - الفريضة الغائبة : عرض وحوار وتقييم - دار الوحدة - سنة ١٩٨٣ م .
- ١٢٧ - التراث في ضوء العقل - دار الوحدة - سنة ١٩٨٤ م .
- ١٢٨ - فجر اليقظة القومية - دار الوحدة - سنة ١٩٨٤ م .
- ١٢٩ - العروبة في العصر الحديث - دار الوحدة - سنة ١٩٨٤ م .
- ١٣٠ - الأمة العربية وقضية الوحدة - دار الوحدة - سنة ١٩٨٤ م .
- ١٣١ - أكاذيب الاضطهاد الدينى فى مصر - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة - سنة ٢٠٠٠ م .
- ١٣٢ - فى المسألة القبطية : حقائق وأوهام - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة - سنة ٢٠٠٤ م .
- ١٣٣ - الإسلام والآخر : من يعرف من ؟ ومن ينكر من ؟ - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة - سنة ٢٠٠٤ م .
- ١٣٤ - فى فقه المواجهة بين العرب والإسلام - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة - سنة ٢٠٠٣ م .
- ١٣٥ - الإسلام والأقليات : الماضى والحاضر والمستقبل - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة - سنة ٢٠٠٣ م .
- ١٣٦ - مستقبلنا بين التجديد الإسلامى والحداثة الغربية - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة - سنة ٢٠٠٤ م .
- ١٣٧ - الغرب والإسلام : أين الخطأ؟ وأين الصواب؟ - مكتبة الشروق الدولية - سنة ٢٠٠٤ م .
- ١٣٨ - مقالات الغلو الدينى واللاهوتى - مكتبة الشروق الدولية - سنة ٢٠٠٤ م .
- ١٣٩ - فى فقه الحضارة الإسلامية - مكتبة الشروق الدولية - سنة ٢٠٠٣ م .

- ١٤٠ - الدراما التاريخية وتحديات الواقع المعاصر - مكتبة الشروق الدولية - سنة ٢٠٠٥ م .
- ١٤١ - في المشروع الحضاري الإسلامي - مركز الذاكرة - جدة - سنة ٢٠٠٤ م .
- ١٤٢ - شخصيات لها تاريخ - مركز الذاكرة - جدة - سنة ٢٠٠٤ م .
- ١٤٣ - شبهات وإجابات حول القرآن الكريم - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - سنة ٢٠٠١ م .
- ١٤٤ - الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - سنة ٢٠٠١ م .
- ١٤٥ - شبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ج ١، ٢، ٣ - سنة ٢٠٠١ م .

#### ب- دراسة وتحقيق

- ١٤٦ - الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - سنة ١٩٧٣ م .
- ١٤٧ - الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - سنة ١٩٧٩ م .
- ١٤٨ - الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده - دار الشروق - القاهرة - سنة ١٩٩٣ م .
- ١٤٩ - الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي - دار الشروق - سنة ٢٠٠٦ م .
- ١٥٠ - الأعمال الكاملة لقاسم أمين - دار الشروق - القاهرة - سنة ٢٠٠٦ م .
- ١٥١ - رسائل العدل والتوحيد - دار الشروق - القاهرة - سنة ١٩٨٧ م .
- ١٥٢ - كتاب الأموال - لأبي عبيد القاسم بن سلام - دار الشروق - القاهرة - سنة ١٩٨٩ م .
- ١٥٣ - رسالة التوحيد - للإمام محمد عبده - دار الشروق - القاهرة - سنة ١٩٩٣ م .
- ١٥٤ - الإسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده - دار الرضا - القاهرة - سنة ١٩٩٧ م .
- ١٥٥ - فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال - لابن رشد - دار المعارف - سنة ١٩٩٩ م .
- ١٥٦ - التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ - لمحمد مختار باشا المصري - المؤسسة العربية - بيروت - سنة ١٩٨٠ م .

١٥٧ - الشريعة الإسلامية صاحبة لكل زمان ومكان - للشيخ محمد الخضر حسين - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م.

١٥٨ - السنة والبدعة - للشيخ محمد الخضر حسين - نهضة مصر - سنة ١٩٩٩ م.

١٥٩ - روح الحضارة الإسلامية - للشيخ الفاضل ابن عاشور - نهضة مصر - سنة ٢٠٠٣ م.

١٦٠ - صلة الإسلام بإصلاح المسيحية - للشيخ أمين الخولي - نهضة مصر ٢٠٠٦ م.

#### ج - مناقشات :

١٦١ - أزمة العقل العربي - دار نهضة مصر - القاهرة - سنة ٢٠٠٣ م.

١٦٢ - المواجهة بين الإسلام والعلمانية - دار الآفاق الدولية - القاهرة - سنة ١٤١٣ هـ.

١٦٣ - تهافت العلمانية - دار الآفاق الدولية - القاهرة - سنة ١٤١٣ هـ.

#### د - بالاشتراك مع آخرين :

١٦٤ - الحركة الإسلامية : رؤية مستقبلية - الكويت - سنة ١٩٨٩ م.

١٦٥ - القرآن - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - سنة ١٩٧٢ م.

١٦٦ - محمد ﷺ - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - سنة ١٩٧٢ م.

١٦٧ - عمر بن الخطاب - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - سنة ١٩٧٣ م.

١٦٨ - علي بن أبي طالب - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - سنة ١٩٧٤ م.

١٦٩ - قارعة سبتمبر - مكتبة الشروق الدولية - القاهرة سنة ٢٠٠٢ م.

#### • صدر حديثاً :

١٧٠ - إحياء الخلافة الإسلامية : حقيقة أم خيال - مكتبة الشروق الدولية - سنة ٢٠٠٥ م.

١٧١ - حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية -

سنة ٢٠٠٢ م.

١٧٢ - الشيخ الشهيد أحمد ياسين . وفقه الجهاد على أرض فلسطين - مركز الإعلام العربي -

القاهرة - سنة ٢٠٠٤ م.

١٧٣ - الإصلاح بالإسلام - نهضة مصر سنة ٢٠٠٥ م.

١٧٤ - الإمام محمد عبده : مشروع حضارى للإصلاح بالإسلام - مكتبة الإسكندرية سنة

٢٠٠٥ م.



- ١٧٥ - مقام العقل فى الإسلام - تحت الطبع .  
١٧٦ - الفتوحات الإسلامية : تحرير . . أم تدمير ؟؟ - تحت الطبع .  
١٧٧ - فوائد البنوك : حلال أم حرام ؟ - تحت الطبع .  
١٧٨ - القرآن يتحدث - تحت الطبع .  
١٧٩ - من أعلام الإحياء الإسلامى - مكتبة الشروق الدولية - ٢٠٠٦ م .

• سلسلة (هذا هو الإسلام) - مكتبة الشروق الدولية :

- ١٨٠ - الدين والحضارة ، عوامل امتياز الإسلام - طبعة القاهرة - سنة ٢٠٠٦ م .  
١٨١ - السماحة الإسلامية ، حقيقة الجهاد . . والقتال . . والإرهاب - طبعة القاهرة - سنة ٢٠٠٦ م .  
١٨٢ - احترام المقدسات ، خيرية الأمة ، عوامل تفوق الإسلام - طبعة القاهرة - سنة ٢٠٠٦ م .  
١٨٣ - الموقف من الديانات الأخرى ، الدين والدولة - طبعة القاهرة - سنة ٢٠٠٦ م .  
١٨٤ - الموقف من الحضارات الأخرى ، أسباب انتشار الإسلام - طبعة القاهرة - سنة ٢٠٠٦ م .  
١٨٥ - قراءة النص الدينى بين التأويل الغربى والتأويل الإسلامى - طبعة القاهرة ٢٠٠٦ م .



رقم الإيداع ١٩٢٠٩ / ٢٠٠٦ م

الترقيم الدولي x 1830- 09- 977- I.S.B.N.

# قراءة النص الدينى

بين التأويل القبرى والتأويل الإسلامى

- فارق بين التأويل العلمى الذى يجمع بين ظواهر النصوص وبين براهين العقول .. وبين التأويل العبرى الذى يفرغ النص من محتواه.
- وعلى حين بلورت الحضارة الإسلامية للتأويل النظريات المضبوطة باللغة والاعتقاد، وجعلته علماً من علوم الفلسفة والتفسير للقرآن الكريم
- كان التأويل القبرى .. والباطنى .. والحداثى .. وما بعد الحداثى، عبثاً تجاوز حد الجنون !!
- لقد حكموا «موت المؤلف» حتى لو كان الفائل هو الله !!  
وحكموا بموت النص، ليتعدد بتعدد القراء !
- وجعلوا القارئ هو المنهج للنص .. وللمعانى .. والمقاصد .. والدلالات !!  
وانطلاقاً من هذا التأويل العبرى رأيناهم يقولون :
- \_ إن الله لم يخلق الإنسان .. وإنما الإنسان هو الذى خلق الله !!  
\_ وإن التوحيد الدينى هو وحدة التاريخ !!  
\_ وإن الإلحاد هو المعنى الأصلى للإيمان !! .. إلخ إلخ
- وذلك وصولاً إلى تفرغ الدين من الدين .. وإحلال «الطبيعة» محل الله !!
- ولبيان الحق من الباطل، والعلم من العبث .. فى هذا المبحث الخطير .. يصدر هذا الكتاب ..

